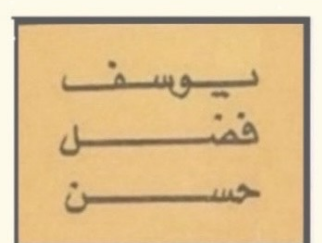
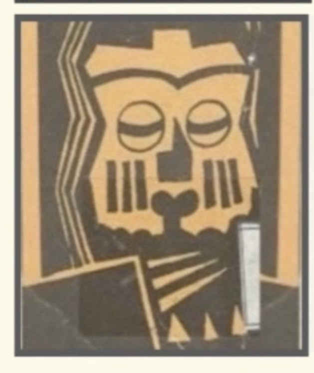
الشلوخ

أصلها ووظيفتها في سودان وادي النيل الأوسط







الشلوخ

أصلها ووظيفتها في سودان وادي النيل الأوسط

يوسف فضل حسن

دار جامعة الخرطوم للنشر
الخرطوم
١٩٧٦ م

أخي وصديقي وزميلي الأستاذ
العلامة طيب الذكر المغفور له
الدكتور جعفر محمد علي بخيت
أهدي هذا الكتاب إلى روحك
الطاهرة في عليائها اعترافاً بفضلك وتقديراً
لعلمك ووفاءً لإخائك

يوسف

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

تصدير

هذه محاولة لدراسة تاريخ « الشلوخ » أو الفصدات التى تزين وجوه كثير من السودانيين حتى عهد قريب . وقد تعرضت فى هذا البحث الى تاريخ هذه العادة ومدلولاتها الإجتماعية والجمالية . وقد بذلت غاية جهدى فى الإستعانة بالمصادر الخطية والروايات الشفوية وما استطعت جمعه من مشاهداتي خلال عقد من الزمان أو يزيد . وقد أوردت أسماء جميع المصادر الخطية التى اعتمدت عليها فى ثبت المراجع . ولكن وجدت من العسير على أن أسجل أسماء جميع من أعانونى فى هذه الدراسة ، إذ أنّ منهم من تفضل عليّ بأسماء بعض الكتب ومنهم من أفادنى ببعض الأخبار القيمة ومنهم من لم أتحدث اليه بل كانت الشلوخ التى تزين خديه خير عون لى وأبلغ دليل لما أنا بصدده .

ومن هذا النفر الكريم الذين قدموا لى شتى أنواع العون البروفسير عبد الله الطيب ، والأستاذ الدكتور عون الشريف قاسم ، الأستاذ الدكتور عبد العزيز الحويطر ، الأستاذ حمزة المزنى ، الدكتور عبد القادر محمود الدكتور عبد الغفار محمد أحمد ، الأستاذ على الملك ، السيد عبد الله حسن سالم ، الدكتور بشير إبراهيم ، السيد الطيب محمد الطيب ، السيد عمر كبوش ، السيد يحيى محمد إبراهيم ، الدكتور سيد حامد حريز ، الأستاذ بابكر دشين ، البروفسير روبرت سارجنت ، الدكتور ركس إسمث ، الأستاذ أحمد عثمان إبراهيم ، الدكتور تاج السر حران ، السيد أحمد موسى سعيد الدكتور احمد محمد على الحاكم ، الأستاذ محمد عمر بشير ، السيد يوسف محمد على ، السيد محمد عثمان عباس ، السيد إبراهيم عبد الله ، السيد هاشم

محمد صالح ، الأستاذ عثمان حسن أحمد ، الآنسة أ. ح. الفكي ، الأستاذ عبد الماجد يوسف أبوسبيب ، البروفسير بيتر شيني ، الاستاذ نجم الدين محمد شريف ، الدكتور محمد على الربيع ، البروفسير رتشارد هيل ، الأستاذ مصطفى عبد الرحيم ، والمرحوم الدكتور براين هكوك . فلهؤلاء جميعا والى من فات على ذكر أسمائهم خالص شــكرى وعظيم إمتنانى على كل المعلومات القيمة التى أمدونى بها .

وللاستاذ عبد الرحمن النصرى . والأستاذ محمد محجوب مالك ، والسيد أحمد محمود . والسيد غالب بر والسيد حسن كنه عظيم شكرى وتقديرى على الصور الفوتغرافية التى دلونى عليها فى كتب الرحالة أو فى ارشيف قسم التصوير بوزارة الثقــافة والأعلام وللاستاذ عــلى عبد الله أسمى آيات الشكر وعاطر الثناء على فضله برسم الصور واعداد الايضاحات

وللزملاء الذين تكرموا بقراءة مسودة هذا الكتاب شكرى على ما أبدوه من ملاحظات قيمة .

ولزوجى توحيدة أجزل الشكر واوفى التقدير لما أبدت من ملاحظات وتشجيع كانا خير عون لى طوال الفترة التى كنت أجمع فيها مادة هذا البحث وكتابته .

لهؤلاء جميعا أسمى آيات الشكر والثناء — وعلى الله الاتكال وبه التوفيــق

بـــرى الخرطوم   يوسف فضــل حسن
غرة جمادى الآخرة ١٣٩٥هـ
١١ يونيــو ١٩٧٥م

مدخـــل

يستعمل السودانيون كلمة « الشلوخ » للدلالة على الخطوط المرسومة على الخدود من أثر القصد بالموسى . ولايشمل هذا المفهوم العلامات الموسومة على الجباه كما هو الحال عند القبائل النيلية في جنوب السودان ؛ أو العلامات الناتجة عن الكي بالنار أو بعض المواد المحرقة على الوجه مثل مايوجد عند النوبة في كردفان . ويضع السودانيون الشلوخ أساساً للتمييز بين قبيلة واخرى وأيضاً بقصد الزينة ولأسباب أخرى سنفصلها في موضعها من هذه الدراسة .

ومع أن عادة الشلوخ التي تزين وجوه كثير من السودانيين في الجزء الشمالي من السودان قد أخذت في الإنحسار مؤخراً إلاّ أنه قد استرعى انتباهي قبل بضعة أعوام وخلال دراستي لهجرة القبائل العربية الى السودان غلبة ظاهرتين على من يتمسكون بالنسب العربي . الأولى هي إنتشار الشلوخ بين المجموعات العربية والنوبية المستعربة التي تقطن على شواطىء النيل ؛ والثانية هي إدعاء هذه المجموعات أنّ الشلوخ عادة عربية وسمة تميز العرب من سواهم من الشعوب الوطنية الأخرى كالنوبيين ومن نزحوا الى السودان خلال القرن التاسع عشر كالمصريين والشوام والأتراك » والفلاته » .

ولما كانت عادة الشلوخ هذه منتشرة بين النوبيين الذين ظلوا يسكنون على شاطئ النيل منذ فجر التاريخ على الارجح ، وبالتأكيد قبل ان تختلط بهم القبائل العربية عند هجرتها الى السودان والتي بلغت ذروتها في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين ؛ ونسبة لانه لم يثبت أن الشلوخ كانت واحدة من التقاليد التي نقلها العرب في نطاق ثقافتهم للاقاليم التي إنتشروا فيها في آسيا وأفريقيا ؛ بل لانجد لها أثراً في المناطق التي استعربت وتمثلت الثقافة العربية تمثلاً كاملاً على أثر

الهجرة العربية سوى في السودان ، رأيت ان ابحث عن تفسير مقنع لهاتين الظاهرتين .

ومنذ ذلك التاريخ أخذت في تتبع عادة الشلوخ ونظائرها في منطقتي الشرق الأدنى والسودان في نتائج الحفريات الأثرية والمصادر العربية وكتب الرحالة الأوربيين والروايات الشفوية وغيرها . وكان نتاج ذلك كله هذه الدراسة التي تؤرخ للشلوخ في شمال السودان ، أصلها ووظيفتها . أهي موروث وطني أم عادة عربية وفدت مع المهاجرين العرب . . . ؟ أم هي تجسيد لمفهوم ثقافي جديد اقتضاه التلاحم العربي النوبي .

الشلوخ ومرادفاتها في اللغـــة :

لم أقف على إشارة صريحة في المصادر العربية لإنتشار عادة الشلوخ بين العرب في جزيرتهم ، كما لم أعثر على نص يؤكد إستعمال لفظ الشلوخ للدلالة على عملية الفصاد في الوجه بقصد وضع علامات مميزة أو سمات خاصة ؛ ولكن العرب يستعملون ألفاظاً أخرى للدلالة على عمليات شبيهة بالشلوخ كالفصد والوسم والوشم واللعوط والمشالى .

أ ــ الشلـــخ : ورد في تاج العروس بين جواهر القاموس أنّ (الشلخ هو الاصل) والعرق (ونجل الرجل) قال ابن حبيب شلخ الرجل وشرخه ونجله ونسله وزكوته وزكيته بمعنى واحد . قال أبوعدنان : قال لى كلابى فلان شلخ سوء وخلف سوء أو نطفته والشلخ فرج المرأة[١] . ويقول العلامة اللغوى الشيخ احمد رضا عضو المجمع العلمي العربي بدمشق « الشلـــخ لغة في الشرخ على الابدال » والشلخ هو الاصل والعرق : نجل الرجل ونسله شلخ الرجل حسنه . . . وشلخه شلخا بالسيف اى هبره . وعلق عليها بقوله وتستعيره العامة لنزع الغصن بجذبه باليد يجذبه من امه فينشق طولا . . .

(١) محب الدين ابو الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدى : شرح القاموس تاج العروس من جواهر القاموس ، الطبعة الاولى ، بالجمالية ، مصر سنة ١٣٠٦ هـ ج ٢/ص ٢٦٤ ، انظر ايضا محمد بن مكرم بن منظور المصرى لسان العرب ، بيروت ١٩٥٥ ج ٣ ، ص ٣ .

والشلوخ عند العامة لحاء الغصن والشجرة([1]). ونجد فيما ورد من معاني لكلمة الشلخ ما يرجح سبب أختيار عرب السودان ، وهم في موطنهم الجديد ، هذا اللفظ للدلالة على إصولهم . فالعلامة أو الشلخ الذى يزينون به وجوههم الدليل على أصلهم وهو السمة التى تميز قبيلة عن أخرى .

ب — أما الفصد هو قطع العرق ، وفصد المريض أى شق عرقه ([2]) والفصاد أو « الفصادة» كما تعرف فى العامية السودانية علاج لكثير من الأدواء في هذه البلاد فكثيراً مايفصد رأس الطفل اذا ظن انه كبر عن حجمه الطبيعي فصدين في مقدمة الجبهة وأخرين في مؤخرتها . كماتفصد بطن من يشكو ألماً أو وجعاً حول السرة ، ويعرف « بام صريرة » . وتفصد أجزاء جسم المريض الأخرى لإخراج الدم الفاسد . ويفصد معظم الأطفال السودانيين وهم في الرضاع فصدين رفيعين أو ثلاثة على كل صدغ كعلاج لبعض أمراض العيون خاصة الرمد وتعرف هذه العملية « بالمداغات » وتكثر بين النوبيين حيث تفشو كثير من أمراض العيون وعادة ماتختفى هذه الخطوط متى ماشب الطفل ، إلا أنها عند النوبيين تظل ظاهرة كالشلخ . والسبب في ذلك أن الفصد غالباً ما يكون طويلاً وعميقاً . ولذا يخطى بعض الناس فيخلطون بين هذه « المداغات » والشلوخ .

ج — الوسم هو أثر الكي والجمع وسوم : ويقال وسمه وسماً وسمة اذا اثر فيه بكي والوسام مايوسم به البعير من ضروب الصور . وقال الليث الوسم أثر كية أما قطع في اذن أو قدمه تكون علامة له ([3]) وجاء في تاج العروس ان الوسم هو اثر الكي يكون في الأعضاء ([4]) وذكر في حديث شريف عن أنس رضى الله عنه قال : دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) احمد رضا : معجم متن اللغة بيروت ١٩٥٩ ، ج ٣ ص ٣٦١ .

(٢) الزبيدى : نفس المصدر ؛ ابن منظور المصرى ، نفس المصدر ، ٣٦٩/٣ .

(٣) ابن منظور لسان العرب ، ج ١٢ ، ٦٣٥ — ٦٣٦ .

(٤) الزبيدى شرح تاج العروس ج ٩ ، ٩٢ — ٩٣ .

بأخ لي يحنكه وهو في مربد له فرأيته يسم شاة [1]

الوسم هو الاسم المطلق العام ولكن بعض المحققين يسمون كل سمة باسم خاص وقد ذكر الثعالبي بعض سمات الابل في «فقه اللغة» وهي الطاع والدقة والخياط والعلاط [2] . وقد نقل العرب فيما نرجح عملية الوسم هذه الى السودان واستعملوها لتمييز دوابهم من ابل وبقر وغنم عن سواهم . واتخذت كل قبيلة وسماً لدوابها، وربما كان هذا الوسم صور مماثلة لوسم ماشيتها في الجزيرة العربية، تناقلته عن أسلافها حتى صار علامة مميزة لها وسمة تميزها عن سواها. وعندما تكبر القبيلة وتتعدد بطونها إثر مصاهرة أو تحالف تطور وسمها الأصلي بإضافة بعض التعديلات له. ونجد أمثلة مفصلة للوسم عند أبالة كردفان في دراسة رائدة لهارولد ماكمايكل [3] ، كما ان الشيخ عبد الله يوسف القاضي قد افرد صحائف من كتاب النخيل لوصف الوسوم المستعملة عند عرب السودان [4] ، ولاشك أنّ الإهتمام بوضع الرسوم هذه على الابل والغنم والبقر يعني محاولة للمحافظة على هذه الثروة التي تمثل العمود الفقري في حياة البدو الاقتصادية من السرقة والنهب والضياع . إذ في المحافظة عليها وهي تجوب الصحراء طلباً للكلأ والماء ، صيانة للكيان للإقتصادي للقبيلة .

ومع أنّ الوسوم نوع من العلامة توضع إساساً على الدواب نتيجة كي أو قطع فقد ورد في كتاب « الأغاني » من أنّ شخصاً قد وسم : «جاء في ذكر يزيد إبن الطثرية وهو يزيد بن الصمة أحمد بني سلمة الخير بن قشير بن كعب ابن عامر بن صعصعة، والطثرية امه. وكان أبو جراد أحد بني المنتفق بن عامر ابن عقيل أسر بن الطثرية فمكث عنده زمناً ثم خلاّه . وأخذ عليه إصراراً ليبعث له بفدائه أو ليأتيه بنفسه وأهله فلم يجد فداء فاحتمل بأهله حتى دخل

---

(١) محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، القاهرة (د. ت) ج ٧ ص ١٧٧-١٧٨ .

(٢) ابو الفرج الاصفهاني ، كتاب الأغاني ، طبعة بولاق (د . ت) ٧ ص ١١٠

(٣) H.A.MacMichael, *Camel Brands in Kordofan*, Cambridge, 1913.

(٤) عبد الله احمد يوسف القاضي ، كتاب النخيل (توجد نسخة خطية منه عند ابنه السيد عبد الرحمن عبد الله وزير الخدمة العامة والاصلاح الاداري .

على أبي جراد فوسمه سمة ابله . فمنهم حلفاء المتفق الى اليوم يعيرون بذلك الوسم . وقال بعضهم يهجوهم :

« عليه الوسم وسم ابي جـــراد »

والوسم للانسان بهذه الصورة يكون غالباً بالكي بالنار بحديدة تسمى الميسم وقد تكرر هذا المعنى في أبيات لجرير يهجو بها الفرزدق ، كقوله :

رفع المطي بمـــا وسمت مجاشعـــاً   والزنبرى يعـــوم ذو الإجـــلال

وايضاً في قوله :

ولقد وسمـــت مجاشعاً ولتغلـــب   عنـــدى مخاضرة وطـــول هـــوان

ويقصد جرير أنه جعل لهم سمة ثابتة باقية والصق بهم عاراً لايمحى بهجائه والأقرب أن يكون مكان الوسم ، في الهجاء خاصة ، هو الأنف ويدل على ان كلمة الوسم اقترنت بالانف صراحة في قول جرير :

ولقد وسمـــت مجاشعاً بانوفهـــا   . ولقد كفيتك مدحـــه ابـــن جعال

واقترنت بالانف ضمناً في قوله :

الم تـــرني وسمت بني نمـــير   . وزدت على أنوفهـــم العلابا (١)

(والعلابا وسم في طول العنق)

ويتكرر لفظ « وسم » في مواضع أخرى من ديوان جرير :

لمـــا وضعت على الفرذدق ميسمي   * وضغا البعيث جدعت أنف الاخطل

كأنه يريد أن يقول وضعت علامتي على أنفه . ونجد نفس المعنى عند شاعر آخر :

ولـــو غير أخوالي أرادوا نقيضي   جعلت لهـــم فوق العرانين ميسمـــا

ويتكرر نفس المعنى في قول الله تبارك وتعالى : « سنسمه على الخرطوم » وقيل ان معنى الآية سنخطمه بالسيف فنجعل ذلك علامة باقية وسمة ثابتةما عاش وقيل سنسمه اى سنكويه .

(د) الوشـــم :

قال ابن شميل : الوسوم والوشوم ، العلامات . وقال ابن سيده

---

(١) انظر : نقائض جرير والفرزدق ، تحقيق انتونى اشـــلى بيفـــان، لايدن ، ٥ : ٩ الجزء الاول ص ٤٥١ و ٩٠٠ .

الوشم مايجعله المرأة على ذراعها بالإبرة ثم تحشوه بالنار ، وهو دخان الشحم ووشم اليد وشماً : غرزها بابرة ، ثم زر عليها النؤر وهو النليج . واستوشمت المرأة أرادت الوشم أو طلبته . وقال أبوعبيد : الوشم في اليد. وذلك أنّ المرأة كانت تغرز ظهر كفها ومعصمها بابرة أو لمسه حتى تؤثر فيه، ثم تحشوه بالكحل أو النؤر فيزرق أثره أو يخضر (١). وقال نافع الوشم في اللثة » وبه فسر الحديث لعن الله الواشمة والمستوشمة » . قال ابن الاثير «والمعروف الآن في الوشم انه على الجلد والشفاه» (٢) .

ومع ان الرسول صلى الله عليه وسلم قد نهى عن الوشم كما جاء في الحديث آنف الذكر ، لانه يغيرّ صنع الله فانه مازال منتشراً في صور متعددة في كثير من البلاد العربية خاصة بين النساء. والمعروف منه في السودان هو وشم اللثه والشفة السفلي وتعرف هذه العملية « بدق الشلوفة » وتجرى عندما تقترن الفتاة . ولم أشاهد وسماً على الأيدى إلاّ عند بعض النوبيات والكنزيات في أقصى شمال السودان ولعل ذلك نتيجة مؤثرات مصرية حيث يكثر الوشم على الأيدى في صعيد مصر. ومهما يكن من أمر الوشم انه لم يتخذ علامة للتمييز بل للتجميل . وقد تغنى كثير من الشعراء بالوشم ولعل أقدم إشارة لذلك وردت في معلقة طرفة بن العبد :

لخـولة اطلال ببرقـة ثهمـــد   تلــوح كباقي الوشم في ظاهراليد

وبالرغم من أنّ عادة ممارسة وشم اللثة والشفتين قد أخذت في الإنقراض ، كالشلوخ ، نتيجة لانتشار الوعي الثقافي والتحرر من العادات البالية فإنّ قلة من النساء قد أخذن في وضع وشم جديد على وجوههن . ويعرف هذا الوشم بالنقرابي ، وهو عبارة عن حرف T يوشم على عظمة احد الخدين « الخد الايسر » وهو يماثل احد الشلوخ المستعملة حاليا في السودان ويعتقد ان النقرابي يضفى جمالاً على وجه المرأة.

---

(١) ابن منظور لسان العرب ، ٦٣٨/١٢ — ٦٣٩ .

(٢) الزبيدى ، شرح تاج العروس ٩ ، ٣٩ انظر ايضا محمد بن اسماعيل البخارى ص ٣٠٦

(هـ) الألعــاط :

لعط أي كوى في عرض العنق . ومنه الحديث الشريف انه عاد البراء ابن معرور واخذته الذبحة فأمر من لعطه بالنار أي كواه في عنقه . ولعطه بسهم اى حشاه به . ولعط بعين أي أصابه وهذا مجاز . واللعطة سواد بعنق الشاة وهي لعطاء . . . ويقال شاة لعطي بيضاء عرض العنق ونعجة لعطاء وهي التي بعرض عنقها لعطة سوداء وسائرها أبيض .
واللعطة (أو العلطة) خط سواد أو صفرة تخطه المرأة في خدها للتزين به . والألعاط جمع لعط ، خطوط تخطها الحبش على وجهها ومنها قولهم حبشي ملعوط (١) .

ويستنتج من ذكرها في قواميس اللغة وغيرها من المؤلفات العربية أنها عادة قديمة عند الحبش ومازالت الألعاط هذه منتشرة بين الأحباش ، رجالاً ونساء وهي شديدة الشبه بالشلوخ في بعض ملامحها ، وسأعود لهذه النقطة في شيء من التفصيل في موضع آخر من هذه الدراسة .

ومن الألفاظ المستعملة اليوم في مكة المكرمة للدلالة على الخطوط التي تزين الوجه كلمة المشالي . ولم اهتد الى مصدرها . والمشال هي الخطوط عامة وتصف الخطوط الموجودة على وجه الجمل . والمشال أيضاً يشير الى قطعتين من القماش خيطتا معاً حتى صارتا كالشال أو العمامة وتعرف عملية وضع المشالي على الوجه بالتشريط وهي عبارة عن خطوط ثلاثة تخط بالموسى على الوجه(٢). ولعل مصدرها شرط أي نزع أو شق يقال شرط الحجام فلاناً يشرطه شرطاً بزغة . وقيل « رب شرط أوجع من شرط شارط » الأول من الإلزام والثاني من بزغ الحمام . والمشرط والمشارط المبضع . والشرط بفتحتين العلامة ، وأشراط الساعة اى علاماتها (٣) ولايستعمل هذان اللفظان

---

(١) الزبيدى شرح تاج العروس ج ٥/٢١٦ ابن منظور المصرى : لسان العرب ح ٣/٣٣٦
(٢) اشكر الاستاذ حمزة المزيني الذى أمدني ببعض هذه المعلومات .
(٣) الزبيدى ، شرح تاج العرس ، ج ٥/ص ١٦٦ ، عبد الله البستاني ، البستان ، بيروت ١٩٢٧ ، ج ١ .

في السودان .

وقد جاء ذكر شرط ومشتقاتها في أبيات من الشعر ارتبط بعضها « بالأحباش» الذين كانوا يمارسون عادة التشريط (١) ، ولكني لم أستطيع تحديد التاريخ الذي قيلت فيه تلك الابيات . ومن ذلك قول الشيخ نور الدين الحجازي :

وذو شـــرط اذا اسف العمامـــة تعـــالى اللـــه مأبهى قوامـــه(٢)
رضيت بشرطـــه في طول عمري لان الشرط آخـــره الســـلامـــة

وجاء ذكرها أيضاً في أبيات من الغزل في الذكر ، قيلت في أواخر القرن السابع الهجري — الثالث عشر الميلادي — ويرجح أن قائلها من المصريين أو ممن عاشوا في مصر ردحاً من الزمن إلا أنّ تلك الأبيات لاتكشف شيئاً عن أصل من قيلت فيه ، وربما كانوا من بعض « الغلمان » الوافدين من الحبشة أو غيرها من الأقطار الافريقية ، اذ لم يثبت أنّ المصريين قد مارسوا عادة « التشريط » :

انشد الشيخ بهاء الدين بن النحاس في مليح « مشروط »

قلـــت لمـــا شرطـــوه وجـــرى دمـــه القانـــي على الوجه البقق
غير بـــدع مـــا اتوا في فعلهـــم هـــو بـــدر ستروه بالشفـــق

وقال نجم الدين عبد المجيد بن محمد التنوخي :—

أنظـــر اللـــه وسل قلبـــك عن محبـــته لعلك
ملك الفـــؤاد بغير شـــرط حسنه والشرط املك

وقال غيره في نفس المعنى :

شرطـــوه فبـــكى مـــن الـــم فغـــدا مـــابين دمـــع ودم
نـــاثـــراً من ذا ومن ذا لـــؤلـــؤاً وعقيقـــاً ليس بالمنتظـــم (٣)

(١) انظر ص ادناه .
(٢) احمد الحفني القنائي الازهري ، ساطع الانوار وخلاصة ما جاء في هجرتي الصحابة الى ارض الحبشة وما يتعلق باهلها من الآيات والاحاديث والآثار بولاق ، ١٣١٢ (١٨٩٤) ، ص ٧١ .
(٣) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ج ٨ ، ١٨٤—١٨٥

ولعل قلة الأخبار عن هذه « الشروط » في المؤلفات المصرية اذ لم اعثر على غير هذه الأبيات في كل ما اطلعت عليه من مؤلفات. تدل على أن عملية التشريط كانت حدثاً طارئاً في تلك الديار كما أن تلك الابيات لاتكشف عن الغرض الذي عملت من اجله تلك الشروط. ولكن يستدل من المصادر المختلفة التي اطلعت عليها ان وضع علامات مميزة في جسم الانسان عن طريق الكي بالنار او القطع بالموسى أو الوشم بالابرة، كان عادة شائعة في أجزاء كبيرة من العالم القديم. ومازالت مثل هذه العلامات منتشرة في بعض الأقطار الافريقية كالسودان واثيوبيا وتشاد ونيجيريا والنيجر والسنغال.

الشلوخ فى العالم القـــديم

ففي مصر القديمة وهي أكثر البلاد تأثيراً على الثقافة السودانية عرف قدماء المصريين الوشم . فقد شوهد الوشم على تماثيل بعض المصريات التي يرجع تاريخها إلى قبل «عهد الأسرات» ومع أنّ بعض العلماء يرجحون أنّ الوشم حقيقة وجد على ثلاث موميات لنساء من الأسرة الحادية عشر . ويؤكد اكتشاف هذه الموميات أنّ عادة الوشم يمكن ان يؤرخ لها ببداية المملكة الوسطى في مصر (١) .

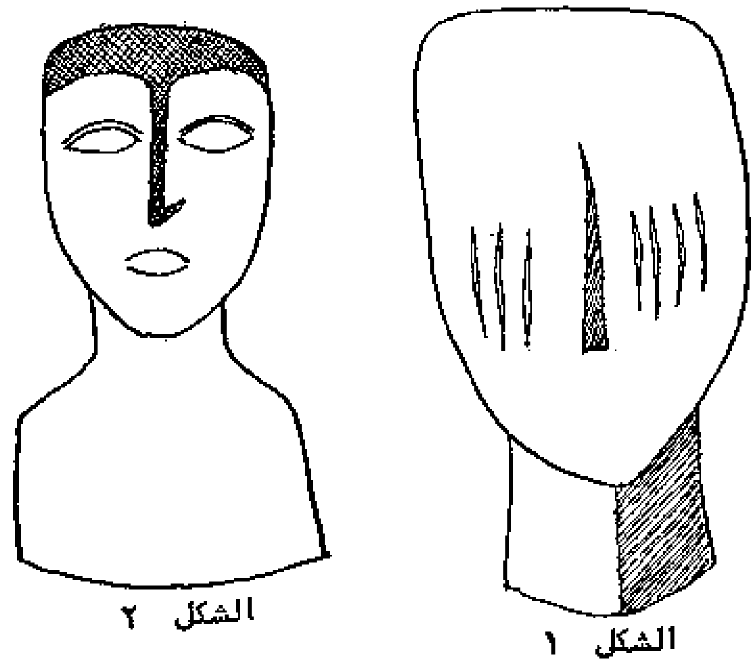
ولم يكن الوشم وقفاً على قدماء المصريين ، اذ أنّ الكاتب اليونـــانى اكزنوفون Xenophon (٤٣١—٣٥٥ ق . م) يخبرنا ان قبيــلة موسينوقيا Mossyoecians التي تسكن بالقرب من البحر الأسود كانت توشم ظهور أطفالها كما كانت تشم الأجزاء الأمامية على هيئة الزهور (٢). ويؤكد المؤرخ هرودتس أنّ الطرقيين Thracians كانوا يمارسون الوشم أيضاً .

وفى أجزاء اخرى من بلاد اليونان ، وفي بعض جزر ايجه عثر على نوع آخر من علامات التمييز التى تشبه الشلوخ . ففي جزيرة أمورقوس Amorgos اكتشف تمثال من الرخام على هيئة رأس عليه بعض الزخارف الحمراء وهي خطوط رأسية أربعة على الخد الأيسر وثلاثة أخرى على الخد الأيمن — والأخيرة شديدة الشبه بالثلاثة شلوخ « مطارق » المعروفة الآن فى السودان (انظر الشكل ١) وفي تمثال آخر فى جزيرة قيقلادس Cyclades تحت خط أفقى على هيئة هلال فوق كل جانب وفي أعلى الجبهة (انظـــر الشكل ٢) والخطان يكونان علامة تماثل بعض الخطوط التي أكتشفت بين

(1) Otto Meinardus, "*Tatto and Name:* A study on the Marks of identification of the Egyptian Christians" *Wiener Zeitschrift fur die Kunde Des Morgenlan des* Band 63 – 64 (1972) 28 – 29.

(٢) نقلا عن المصدر اللاحق ، حاشية رقم (١٩)

آثار مملكة مروى . وهذان التمثالان يكونان جزءاً من ثقافة كروس سيروس . . . Keros – Syros التي ازدهرت في الألف الثالثة قبل الميلاد.



الشكل ٢

الشكل ١

وفي العراق أيضا اكتشف علماء الاثار خطوطاً مماثلة ، ففي تل حسونة الذي ازدهرت ثقافته بين نحو سنة ٦٧٥٠ إلى سنة ٥٧٥٠ قبل الميلاد عثر على جرة مزخرفة بوجه انسان ، وتعتبر هذه الجرة فريدة في نوعها لقدمها ، كما أن الخطوط الأفقية الثلاثة التي تزين كل خد والتي ربما كانت نتيجة وشم تزيد عن قيمتها الأثرية (انظر الشكل ٣). وفي عهد معاصر لثقافة تل حسونة اكتشف علماء الاثار في شوقا ماني — Choga-Mani بالعـــراق وجها مزخرفا من الفخار على شكل طائر . وقد رسمت على خده ثلاثة خطوط عمودية (كالوشم) ويماثل هذا الزخرف في مضمونه ما وجد على جرة تل حسونة ويرجعون تاريخها الى ثقافة سامرا التي ازدهرت بين سنة ٥٥٠٠ وسنة ٥٠٠٠ قبـــل الميلاد (١) .

(1) Joan Oates, "Choga-Mani", 1967–68: "A Preimmary Report" *IRAQ*, 3, P 129 – 130 Plate *XXV*



الشكل ٣

ويبدو أنّ عملية الوشم ومايشابهها من علامات أخرى كخدش أو قطع كانت معروفة عند الشعوب السامية . ومع ان الوشم فيما يبدو قد اتخذ لاسباب جمالية بحتة إلاّ أنّ مثل هذه العلامات قد اتخذت للدلالة على الاسترقاق والعبودية عند البابليين (كما جاء في قوانين حمورابي البنود ١٤٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧) (١). كما أنّ اليونان والرومان قد اتخذوها كرمز للعبودية أو العار . ويميل الاستاذ روبرتصون سميث إلى أنّ عملية الوشم كانت ذات دلالة دينية عند الساميين ، فقد كان السريان يضعون علامة على العنق والرسغ رمزاً لمعتقداتهم الدينية . ويبدو أنّ هذه الفكرة كانت شائعة في ذلك الوقت . اذ يروى هيرودوتس عن معبد مصرى معين « هرب منه عبد » كان موسوماً بالعلامات المقدسة المميزة لذلك المعبد وانه بهروبه يخرج من ملكية سيده الى

(1) *Encyclopedia Biblica*, Jerusalem, 1962, Vol. IV "Ktovit Ka'Ka," pp 378-9

اشكر الدكتور شكيل صالح الذى ترجم لى هذا الجزء من العبرانية .

R. Smith, *Kinship and Marriage in Arabia*, London, 1907. 249. Herodottus II, 113, quated for Encyclopedia Biblica, IV. 379

الأبد (١) . وتقرر دائرة معارف التوراة والانجيل العبرية أنه لايوجد مثال واضح على استعمال الوشم كعلامة دينية بشكل ثابت في العهد اليهودي القديم ولكن في الفترة الهلينية المتأخرة توجد رموز لعادات مشابهة في بعض العبادات . وورد أنّ علامة الاله ديونيسوس قد طبعت على أجسام اليهود حتى تحميهم من المعتدين اليونان في الأسكندرية . ويرجع حكماء التلمود أنّ عادة كتابة اسم الـــه اسرائيل على الجسد أو كتابة رمز عبادة أجنبية يعد عادة شنيعة .

إنّ عادة الوشم كانت معروفة عند الاسرائيليين . كما إن التوراة قد منعت الوشم وجاء فيها مامعناه إلاّ تقطعوا أجسادكم من أجل الموتى ولا تطبعوا أي علامات على أجسادكم (٢) .

ولعل سبب تحريم التوراة للوشم يرجع إلى أنّه كان أساساً عادة وثنية ؛ وتفسر دائرة معارف التوراة والانجيل العبرية تحريم الوشم ومايشابهه بانه قد يسبب عاهة أو يحدث تشويها في الجسم تكون نتيجته إهانة لكمال اسرائيل وقدسيتها (٣) .

ومن جهة أخرى يبدو أنّ الكنيسة المسيحية لم تعارض في مبدأ الأمر عملية الوشم ، ففي وصف للقديس يوحنا لرؤياه للكلمة الإلهية أنّ اسم ملك الملوك واله الآلهة قد سطر على صدر السيد المسيح ووركه . ويعتبر بعض المؤلفين هذا النص هو مصدر استعمال الوشم بين المسيحيين الأوائـــل . هذا الى أنه يجب أنّ نذكر أنّ بعض تعاليم الكنيسة ظلت تحرم عملية الوشم صراحة . وبمرور الزمن صار للوشم مدلول ديني . فرغم تناقض الأدلة

---

(١) *Encyclopedia Biblica*, op-cit, Vol, P. 389-390

(٢) الكتاب المقدس (أي كتب العهد القديم والعهد الجديد) نشر عام ١٩٦٥ ، سفر اللاويين ، الاصحاح الحادي والعشرون ، الآية ١-٥ : وقل لهم لا يتنجس احد منكم لميت في قومه .... لا يجعلوا قرعة في رؤوسهم ولا يحلقوا عوارض لحاهم ولا يجرحوا جراحة في اجسادهم . مقدسين يكونون الاههم . وجاء في سفر التثنية ، الاصحاح الرابع ، الآية الاولى « لا تخمشوا اجسامكم ولا تجعلوا قرعة بين اعينكم من اجل ميت»

(٣) *Encyclopeadia Biblica*, op-cit, IV, 378-9

المتوفرة لدينا اتخذ بعض المسيحيين ، والأقباط منهم بخاصة، الوشم كرمز للعقيدة المسيحية . ففي عهد الأسكندر الثـــاني (٧٠٥ – ٧٣٠) بطريق الاسكندرية ، وسمت اليد اليسرى لكل راهب قبطي بخاتم محمي على النار يحمل اسم الكنيسة والدير الذى ينتمي اليه الراهب وتاريخ السنة الهجرية حتى يسهل التعرف عليه (١) . وقد يكون مصدر هذا الإجراء في بعض مظاهره هو أحد موجات الإضهاد التي تعرض لها الأقباط على يد بعض المتعصبين من المسلمين ، ولكن الدوافع لهذا العمل التطوعي أعمق من أن تكون ذات صبغة تأديبية . ففي خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر شوهـــد الحجيج الحبشي في بيت المقدس تزين وجوههم علامات خاصة بسبب «التعميد بالنار» ومصدر هذه العلامات توجيه الـــقديس يوحنا المعـــمدان (St.John the Baptist) الذي يقول فيه «إن من يأتي بعدي سيكون أقوى مني ... فانه سيعمدكم بالروح القدس والنار (٢) واستجاب الاحباش لهذا النداء الكريم فعمدوا الى كي اطفالهم بالصليب على جباههم وصدورهم وأكتافهم تخليصاً وتطهيراً لهم من الخطيئة الاولى » (٣) . ولما كان الأحباش كالأقباط ينضوون تحت لواء كنيسة واحدة ، فهناك من الأسباب مايرجح أنهم قد ادخلوا عادة الوشم على هيئة الصليب بين الاقباط أو أنهم شجعوهم على اقتباسها . والأقباط كانوا (ومازال كثير منهم) يوشمون الجزء الداخلي من اذرعهم . ولعل مما مهد لهذا الاقتباس الإعتقاد السائد بين بعض الأقباط من أن بلادهم ستتعرض الى غزو حبشي لا ينجو من الموت فيه الا من طبع الصليب على رسغه . ومهما تكن قيمة هذا الاعتقاد الشعبي ، فان انتشار

(١) Otto Meinarelus, op.cit *Wiener Zeitschrift fur die Kunde des Morgenlandes*, 63–64,39

(٢) الكتاب المقدس : (اى كتب العهد القديم والجديد) ، انجيل متى ، الا صحاح الثالث : الآية ١١ : ونص الآية « انا اعمدكم بماء التوبة ولكن الذي يأتي بعد هو أقوى منى ، الذي لست اهلا ان احمل حذاءه ، هو سيعمدكم بالروح القدس ونار » .

(٣) Arnold Von Harff, *The Pilgrmage and Arnold Von Harff* . . which was accomplished in the Year 1496–1499, London, 1946, P. 159.

وشم الصليب يرجع الى عوامل عرفية ودينية . وقد وجد فيه الاقباط ميزة لهم، وهم قلة، عن الأغلبية المسلمة ذات الثقافة العربية . كما أنّ بعض القبط رأوا في الصليب حمـــاية لهم من الأرواح الشريرة والأمراض الخبيثـــة . ولاشك أنّ بعضهم قد اتخذ الوشم لأسباب جمالية وزخرفية بحتة (١) .

وانما سقت كل هذه الامثلة لعلامات التمييز في بحر ايجه والعراق والشام ومصر وبلاد الحبشة (التي ساتعرض لها فيما بعد) لابين مدى انتشار هذه العملية فى العالم القديم جاعلاً منها خلفية ثقافية لما حدث في السودان في تلك العصور المبكرة .

---

(1) Otto Meinardus, "op.cit", *Wiener Zietschrift fur die Kunde des Morgenlandes*, 63–64, p. 30.

الشلوخ فى السودان القديم قبل الهجرة العربية

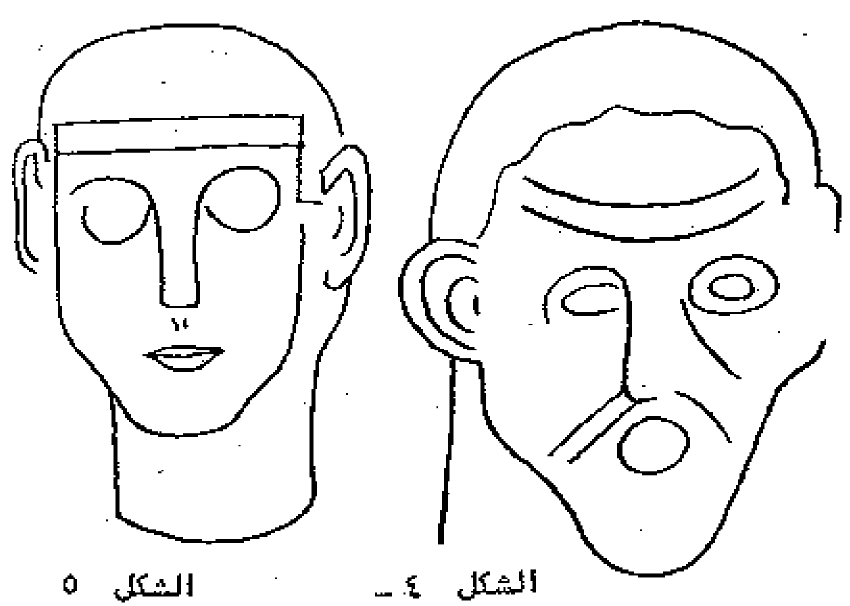
عرفت الشلوخ فى الجزء الشمالى من السودان ، خاصة فى بلاد النوبة منذ العهد المروى (٧٥٠ ق . م — ٣٥٠ م) على أقل تقدير : اذ اكتشف علماء الآثار بعض التماثيل والنقوش لاشخاص مشلخين ترجع الى ذلك العصر. وتمثل تلك الشلوخ أنماطاً مختلفة فبعضها على هيئة خطوط أفقية مستقيمة ، وأخرى مائلة وبعضها هلالية الشكل . وقد استمرت هذه العادات منذ ذلك التاريخ حتى شملت معظم أجزاء السودان الشمالى .

وساعرض فيما يلى نماذج لتلك الشلوخ مبتدأً من بلاد النوبة المصرية فى الشمال أو عند الشلال الثانى متجهاً نحو الجنوب حتى أرض البطانة أو جزيرة مروى دون اعتبار للتسلسل الزمنى اذ ترجع جميعها لعهد سابق للفترة المسيحية فى السودان .

(أ) أما المجموعة الأولى فتتكون من تمثالين منحوتين على حجر رملى وقد كتشفتا فى مقبرة شبلول الواقعة على الضفة الغربية من النيل جنوب المحرقة وشمال قصر ابريم . ويؤرخ لهما بين عام (١٠٠ م . و ٣٠٠ م) وعلى جبهة التمثال الأول (الشكل ٤) شلختان متوازيتان على هيئة هلالين ، ومن أسفل الأذن ينحدر خطان مستقيمان مائلان على الخد الأيمن دون أن يمسا اللثة . ويشمل التمثال الثانى (الشكل ٥) على خطين متوازيين نقشا وسط الجبهة حتى يكاد اعلاهما يلامس حافة شعر الرأس (١) .

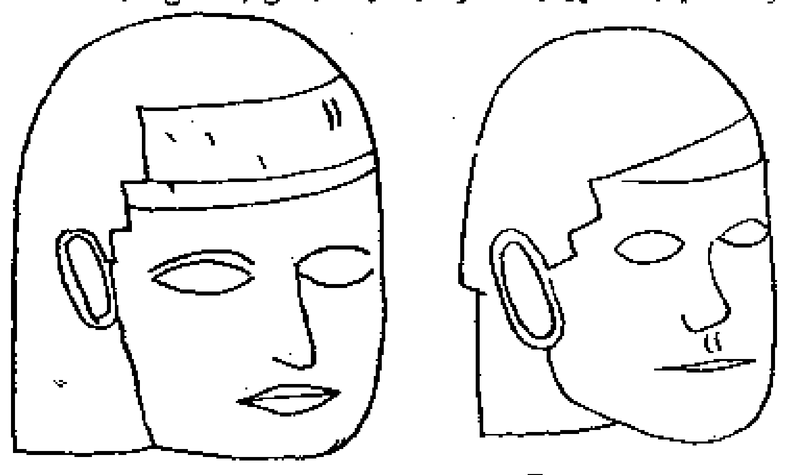
(ب) وتتكون المجموعة الثانية من تمثالين أيضاً وجدا فى مقبرة رومانية نوبية بالقرب من كرنوق . وتقع قرية كرنوق KARONG, على الضفة الغربية من النيل وغرب قصر ابريم . وتدل محتويات هذه المقبرة أنها جمعت رفات

(1) D. Randall, M. McIver and Leonard Woolley, *Areika* Vol I, Oxford. 1909, No 5014, Plate-18 and No. 5020 Plate 19 pp 29,30.



الشكل ٤ ـ   الشكل ٥

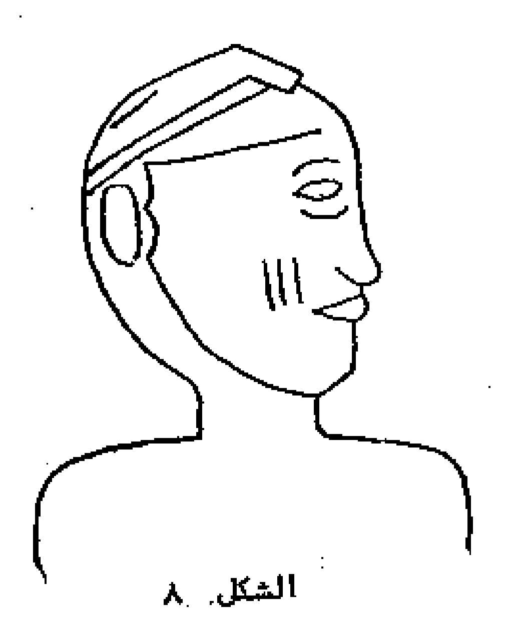
شخصيات ذات قدر من الثراء وعلى التمثال الاول وهو الرجل ، رسم هلال في مقدمة الرأس (الشكل ٦) . وعلى جبهة التمثال الثاني الذي ربما كان لامرأة ، مايشبه هلالين وضعا فوق بعضهما البعض (الشكل ٧) .



الشكل ٦   الشكل ٧

(ج) والى الجنوب من معبد أبو سمبل الواقع على الضفة الغربية للنيل ،

جنوب كرنوق عثر في المقبرة رقم ١٢ بالجبانة ٢١٤ على لوحة حجرية تحمل صورة إمرأة على خدها الايمن ثلاثة شلوخ عمودية. ويؤرخ هذه المقبرة بنحو مائتين وخمسين سنة وثلاثمائة سنة بعد الميلاد. ويعتقد ان هذه اللوحة

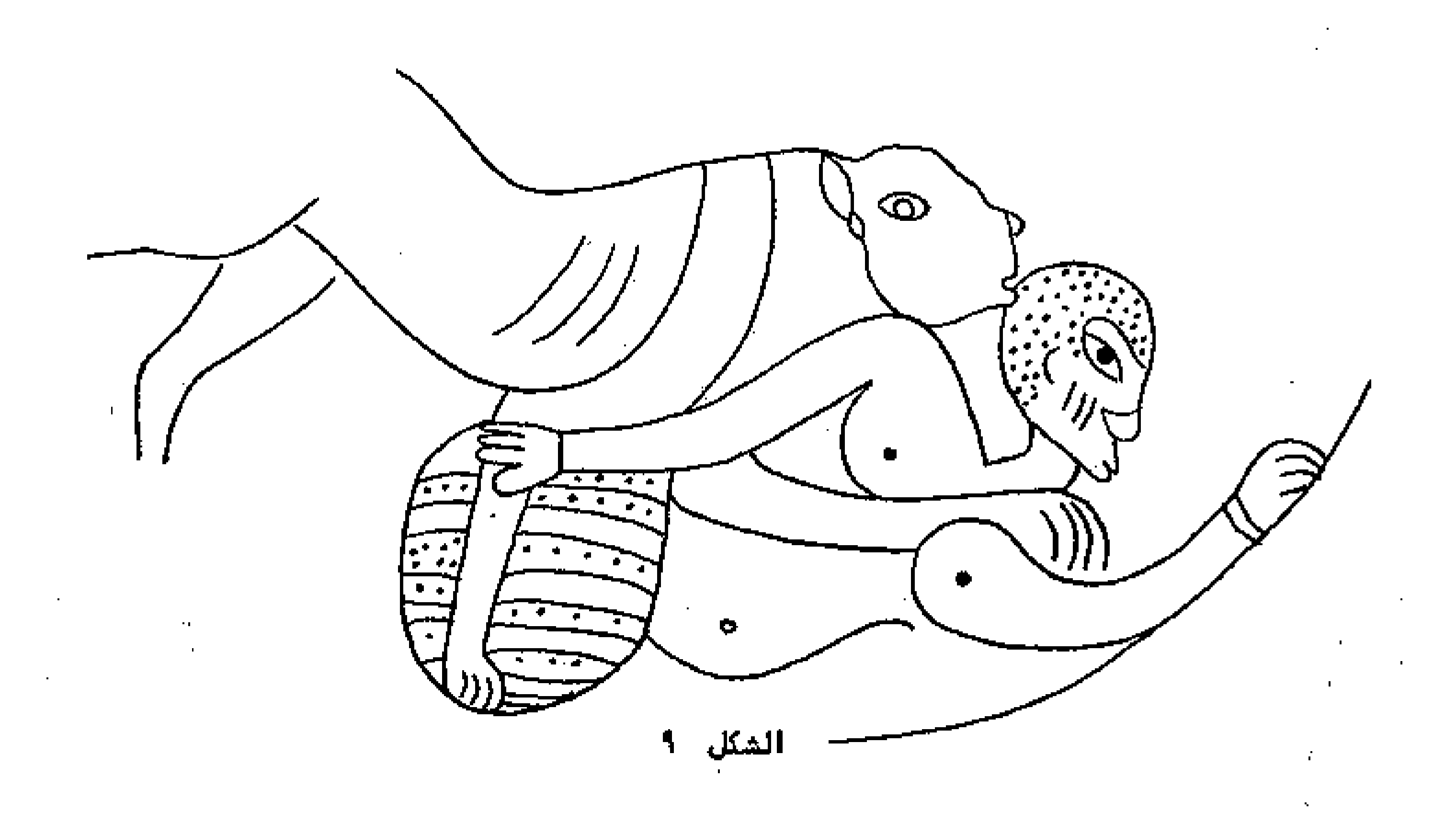


الشكل ٨

لسيدة من أسرة نبيلة (١) (الشكل ٨). والنموذج الرابع عبارة عن جرة مزخرفة بصورة رجل ينهشه اسد وقد عثر على هذه الجرة في قرية فرص الواقعة على الضفة الغربية للنيل جنوب بلانه. ويزين خد الرجل ثلاثة خطوط عمودية على هيئة (الشلوخ الثلاثة) التي نراها على وجوه كثير من السودانيين في زمننا هذا. وربما قصد الفنان برسمه لهذا الرجل على شكل منهزم ان يرمز الى انه ليس مرويا بل غريبا عن تلك المملكة او عدوا لها (الشكل ٩) (٢).

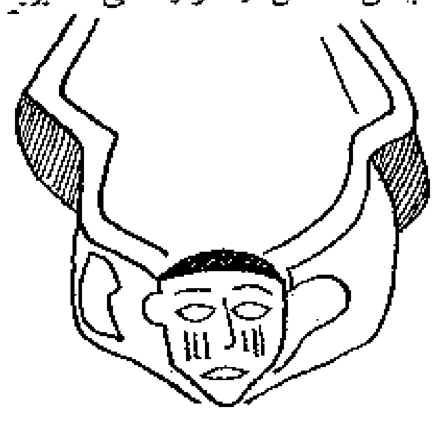
(1) G. Leonard Woolley and D.R.Mclver, *KARNOG, the Roman and*, Nubian Cemetry, Philadelphia, Vol. III, p 48, Vol. IV Plate 10 No S 7069 & 7070

(2) W. Fmery and L.P.Kerwan, Excavations and Sarvey between Wadi es-Sanbua and Adin-dan 1929-31 (Service des Antiquites de Egypte, Mission Archeologique de Nubie, 1929-34) Cairo, 1935, Vol. I, p532, II Pl .29 M.de Villard" Teste Meroitici della Nubia Settentrionable" *KUSH* VIII (1960), PP 91-95 Plate XXIX (a)



الشكل ٩

(هـ) وفي ارقين الواقعة جنوب فرص ، عثر على كفن من الفخار على هيئة رجل وعلى خديه وتحت العينين مباشرة رسمت ثلاثة شلوخ رأسية قصيرة . وهذه الشلوخ شديدة الشبه بشلوخ بعض قبائل النوبة في كردفان كما لاحظت مايماثلها عند بعض المحس والكوارته في المديرية الشمالية . ويرجع تاريخ هذا الكفن الى العهد المروى على الأرجح . بينما يعرفه العلماء بعهد البطالمة أو الرومان في مصر (١) (انظر الشكل ١٠).



الشكل ١٠

(و) وفي جبل تركاب . بوادى التميد الواقع شمال شرق شندى يوجد نقش على حائط لرجل يشل دلوماء. وعلى خده الأيمن تحت خطان مائلان على هيئة هلال. يماثل هذان الشلخان الخطين اللذين رسما على الشكل الرابع في بعض مظهرهما ويؤرخ لهذا النقش (الشكل ١١) بالعهد المروى(٢) ويبدو انها شلوخ وليست مجرد زخرف كالخط الذى رسم فوق الحاجب .

(ز) وفي منطقة مروى وفي المبنى رقم ٧٥٠ عثر البروفسير بيتر شينى على قطعة حجرية نقش عليها رأس ملك تزين خده ثلاثة شلوخ مائلة (يبدو الواحد منها كضلعى مثلث منفرجين (الشكل ١٢) (٣) ويرجح المرحوم الدكتور براين هكوك في حديث له معى ان هذه القطعة حديثة العهد وقد ترجع الى نحو القرن الثالث الميلادى

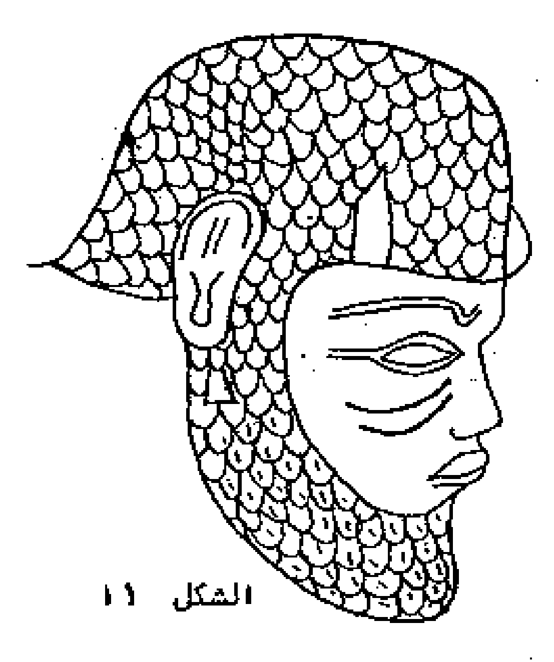
(ح) وقد ذكر البروفسير بيتر شينى في رسالة للمؤلف بتاريخ ١٩٧٤/٢/٨

(1) P.L.Shinie, Meroe, *A Civilization of the Sudan*, London, 1971, p 155;
Sadik Nur, "Two Meroitic Pottery Coffins from Argian in Halfa District", *KUSH*, IV; 1956 pp 86–87

(2) Lepsius, *Denkmalr*, V, 68F

(3) P.L.Shinie, *The IronAge*, London, 1971, plate 4. P. 95.

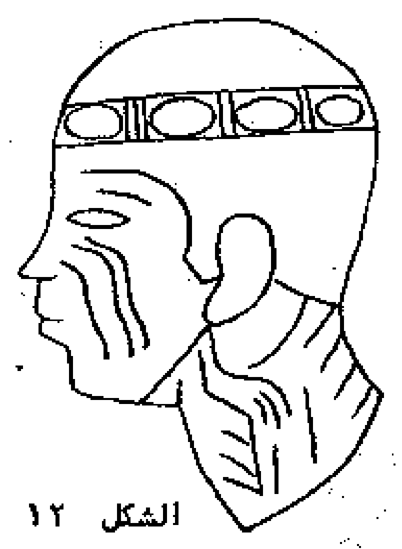
انه قد عثر فى نفس المنطقة على ثمانية رؤوس فخارية يرجح انها كانت فى الأصل جزءاً من تماثيــل بشرية كاملة ، وان كل رأس منها قد علم بشلوخ عمــودية . ويضيف البروفسير شينى أن كــل المجموعة التى رآها والمبينة فى الاشكال ١٠ ، ١١ ، ١٢ والثمانية رؤوس الفخارية كلها تحمــل شلوخاً عمودية عدا رأس الملك (الشكل ١٢) ويفسر البروفسير شيني ان سبب



الشكل ١١

تعرج الشلوخ فى ذلك الشكل ربما كان مجرد رخصــة فنية يلجأ اليها الناحت .

(ط) واخبرني الدكتور براين هكوك انه رأى فى المبنى رقم ١٠ بالبجراوية نقشا لرأس بشرى فوق طائر ومعه ملكة وعلى خد كل منهما صفان من الشلوخ الرأسية الثلاثة .



الشكل ١٢

ولدى الدكتور احمد محمد على الحاكم صــورة للجــزء الأعلى من تمثال (الرأس والرقبة) لاحد أعضاء الاسرة المالكة على خده شلوخ .

واخبرني الأستاذ عبد الماجد أبوسبيب أنه رأى في عام ١٩٧٢ في رحلته الى المديرية الشمالية تمثالاً لامرأة في مقبرة بالقرب من الخندق على خدها ثلاثة شلوخ عمودية .



الشكل ١٣

ونشر المستر لويس كيمر دراسة لتمثال من الطين يرجع الى العهد الروماني في مصر يمثل صورة أمرأة سودانية ذات شلوخ ثلاثة (مطارق) (الشكل ١٣) . ومع أن هذا التمثال عثر عليه في منطقة الفيوم إلا أن الكاتب يؤكد انه رغم صنعه في مصر الرومانية فهو يرمز الى سيدة سودانية أو اثيوبية (مستعملا هذين اللفظين في معناهما العام) . وأشار كيمر الى أن بعض الرحالة قد شاهدوا هذه الشلوخ عند كثير من السودانيين الذين يسكنون في مصر . ويستنتج كيمر من هذا التمثال ، رغم عدم عثوره على دليل أقدم منه . أن عادة الشلوخ قديمة جداً بين السودانيين (١) .

ونستنتج من هذه النماذج الأثرية أن عادة الشلوخ كانت منتشرة بين السودانيين خاصة في المنطقة النيلية الواقعة شمال الخرطوم منذ أمد بعيد. وتدل هذه الأمثلة على أنها كانت منتشرة بين الرجال والنساء على السواء . وربما دل وجودها بكثرة على التماثيل والألواح الحجرية أنها كانت منتشرة

---

(1) J.Keimer, "Une Petite tête en romaine en terre cuite representant une Soudanaise a cicatrices faciales", *Bulletin Societé di Archeologei d' Alexandrie,* No 40 (1953), pp. 31–4. Plate 2.

بين أعضاء الأسرة المالكة أو الأسر التي يمكنها ثراؤها من أنْ تخلّف تماثيل أو لوحات تدل على هيئتها .

ولكن اكتشافها على وجه مايمكن أن يكون غريباً . كما هو الحال في صورة الرجل الذي هاجمه الأسد ، ربما رجح أنها لم تكن وقفاً على فئة معينة من الوطنيين . أما سبب وضعها سواء بقصد الزينة أو لتمييز مجموعة عن اخرى أو لعامل ديني فهو مالايمكن البت فيه برأى قاطع لقلة الادلة .

ومنذ سقوط مملكة مروى في منتصف القرن الرابع الميلادى لانجد من الاثار والرسومات القليلة التي خلفتها العهود التالية ما يدل على ازدهار عادة الشلوخ سوى اشارة خطية في واحد من كتب الرحالة في القرن الرابع عشر. وفي ذلك الوقت كانت الديانة المسيحية التي بدأت تنتشر في الجزء الشمالى من السودان منذ القرن السادس الميلادى قد ضربت بجذور عميقة حتى عمت بلاد النوبة ومملكة علوة وصارت سمة قومية لسكانها. وقد وردت تلك الاشارة في كتاب للقسيس سيمون سمونيس Symon Semeonis الذى زار البلاد المقدسة في فلسطين بين سنتي ١٣٢٢ و ١٣٢٤ وتحدث فيه عن مصر وبلاد النوبة . وقال عن النوبيين انهم يتميزون عن الهنود بالخطوط الطويلة التي يضعونها على وجوههم ؛ حتى اصبحت سمة تدل عليهم . وتعمل هذه الشلوخ أو العلامات بمرواد محماة بالنار . ويعتقد النوبيون انهم بكي وجوههم انما (يعمّدون أنفسهم) يأملون أن تخلص نيران الكي وآلامه أرواحهم من الآثام التي لحقت بهم وتطهرها من الذنوب (١) .

ومن هذا يبدو أنّ الشلوخ كانت مرتبطة بمفهوم ديني يتفق مع ما وجدناه عند الاحباش والأقباط . وقد كانت لهاتين المجموعتين بعامة والأخيرة بخاصة دور هام في نشر الدين المسيحي في شمال السودان في مبدأ

(1) Symon Semeoins, *Itinerarium Simonis et Hugonis Illuminatoris* pp. 274–5, Quated in J. Vantini, *The Excavation at Faras: A Contribution to the History of Christian Nubia*, Bologna, 1970 pp 132–3.

الأمر وتدعيمه روحياً إبّان السيطرة الاسلامية على مصر وعند بدء انتشار النفوذ العربى الاسلامى فى السودان . وقد كان بطريق الأسكندرية هو رئيس الكنيسة القبطية فى مصر وراعى أتباعها فى الحبشة ومملكتى النوبة وعلوة (١) .

(1) J.R. Wellsted, *Travels in Arabia*, London, 1838, Vol. I,389

الشلوخ في افريقيــا الاستوائية

ومع أنّ الأحباش ظلوا يمارسون الوشم والكي بالنار على الوجه لأسباب دينية بحتة فان الشلوخ قد عرفت بينهم ايضاً . وقد جاء ذكرها فــي المصادر العربية مقرونة بهم وسماها العرب الالعاط أو اللعوط وقالوا انها خطوط تخطها الحبش في وجهها . ووصف ابن قتيبة عبد بني الحساس بانه كان حبشياً معلطاً اى مشلخا (١) . ويسمونها أيضا بالشروط ، ومفردها شرط . وتنتشر الشلوخ في وقتنا هذا بين كثير من سكان اثيوبيا الشمالية خاصة في منطقة ارتريا . وقد ذكر لى بعض الاثيوبيين أنّ الشلوخ هي عبارة عن ثلاثة خطوط عمودية رفيعة تحفر بالموسى على الخدين وتكثر بين المسلمين منهم على وجه الخصوص . وشلوخ الارتريين هذه ، والتي تنتشر بين الرجال والنساء تشبه شلوخ قبيلة الحمران الغربيه والتي تسكن على نهر ستيت في السودان كما ان بعض الارتريين يصنعون فصدين عمودين على الصدغين (الشكل رقم ١٤)



الشكل ١٤

ويذكر احد المؤلفين العرب نقلاً عن مصادر لايسميها ان عادة اللعوط هذه قديمة بين الحبشان ، وان منشأها يرجع الي حرب نشبت بين الأحباش وملك من ملــوك اليمن . ففي تلك الحروب ظفر ملك اليمن بالأحباش واراد قتلهم ولكنهم طلبوا الصلح محتجين بأنهم من أهل الكتاب وأنّ بعض منهم على دين موسي والبعض الآخــر على

(١) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ج ٣٦٩/١ . انظر ايضا عون الشريف قاسم ، السودان في حياة العرب وادبهم – مجلة الدراسات السودانية ، المجلد الاول ، العدد الاول ص ٧٨

شريعة عيسى بن مريم . وبعد أن تحقق ملك اليمن من دعواهم هذه فرض عليهم الجزية. ولكن قبل عودته الى بلاده رأى وزراؤه أن توضع لهذه الفئة من الأحباش علامة تمتاز بها عن المشركين وعبدة الأوثان وتكون دليلاً منهم للانقياد والاذعان للمسلمين، وسمة يميزهم المسلمون بها عن سواهم عند حضورهم لتلك الديار حتى يعاملونهم بالرعاية والاحترام . وبعد أن تفاكر الأحباش فيما بينهم اتفقوا على أن يجعلوا في وجوههم وسماً على رسم خاص . فمنهم من اكتفى بوسم واحد بين الحاجبين ومنهم من زاد عليه آخرين كل واحد منها يمايلي عيناً من العينين. ولما سئلوا عن تلك الزيادة قالوا انها مفيدة للعينين (١) .

ورغم طرافة هذا التفسير لاصل الشلوخ وانتفاء الغرض الذي عملت من اجله فقد بقيت هذه الشروط في وجوه البعض حتى وقتنا هذا. ويبدو ان بعض المسلمين قد اتخذوا الصليب سمة لهم لاسباب اخرى. فقد روى احد الرحالة الاوربيين أنه رأى علامة الصليب على ذراع رجل ، فلما سأله عن القصد منها ، ذكر له ذلك الحبشي أن والده كان مسلماً واتخذ هذا الصليب حتى يبدو كأنه مسيحي ومن ثم لايدفع هو وأفراد أسرته جزية للنجاشي ملك الحبشة (٢) .

ومهما يكن من أمر فان الشروط كانت متفشية بين الاحباش ولطالما تغزل فيها الشعراء العرب ومن أمثلة ذلك ماقاله ابوحيان التوحيدي :

وبي حبشية سلبت فؤادي ... فليس يروق لي شيء سواها
كأن لعوطها طرق ثلاث ... تسير بها القلوب الى هواها

وقال سراج الدين المدني :

فدت تستر الحسن البديع وقد بدت ... شروط محاسنها على أكمل الشروط
وهمت بستر الشرط في الحال عزة ... فاعطيتها روحي جزاء ذلك الشرط

(١) احمد الحفني القنائي الازهري ، مواطع الانصراف خلاصة ماعاد من هجرتي الصحابة الى ارض الحبشة وما يتعلق بأهلها من الآيات والاحاديث والآثار ، بولاق ١٣١٢ هـ ص (١٨٩٤) ، ٧١ نقلا من ابن عبد الباقي في كتابه الطراز المنقوش في تاريخ الحبوش .

(٢) Vincent le Blanc, *The World Surveyed*, London, 1660, p 196.

وقال الشيخ عبد اللطيف المكي :

على صفحة الخدين قد لاح لي خط
ومضمونه ان الممات به شرط

أموت بلا شرط عليها صبابة
فكيف اذا ما لاح في وجهها شرط

وقال الشيخ نور الدين الحجازي :

وذو شرط اذا لبق العمامة تعالى الله ما أبهى قوامه
رضيت بشرطه في طول عمري لأن الشرط آخره السلامة

وتوجد علامات التمييز هذه في أجزاء أخرى من أفريقيا . ففي منطقة زنزبار على ساحل أفريقيا الشرقي تميز بعض القبائل أفرادها بخطوط عمودية تحفر على الخدين بمطواة عند ما يكون الطفل في عامه الخامس أو السادس وتظل هذه العلامات سمة تمييز بين قبيلة وأخرى (١) .

وفي منطقة اعالي النيل بجنوب السودان مازالت علامات التمييز معروفة عند القبائل النيلية والتي كان موطن بعضها كالشلك — وحتى القرن الثامن عشر — يمتد على شواطيء النيل الابيض حتى منطقة ملتقى النيلين . وربما كانت علامات التمييز عند القبائل النيلية اكثر اتقاناً وتفصيلا مما تجده عند سكان الجزء الشمالي من السودان كما أنها تحمل مدلولات قبلية واجتماعية وجمالية متعددة . ويكفي إلى أنْ اشير القاريء الى بعض المصادر التي عالجت هذا الموضوع في شيء من التفصيل (٢) . وتتمركز علامات التمييز عند القبائل النيلية على الجبهة الا أنها تختلف في تفصيلها . فعند الشلك عبارة عن

---

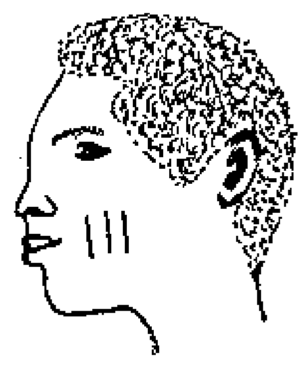
(1) J.R.Wellsted, *Travels in Arabia*, London, 1838, Vol. I, 389.

(2) C.G. Seligman, *Pagan Tribes of the Nilotic Sudan*, London, 1852, 27 H 223, من شاء التوسع في هذا الموضوع فليرجع الى :
H. Karl W. Kumm, *From Housa land to Egypt through the Sudan*, London, 1910; S.Johnson, *The History of the Yorubas;*, Lagos, 1937, PP. 104–110.

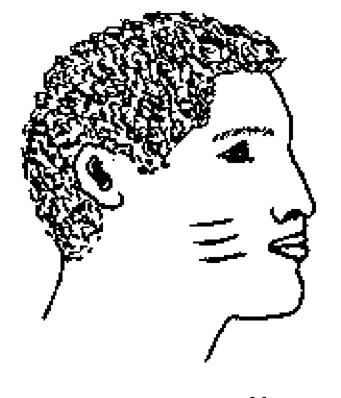
فصدين أثنين أو ثلاث فصدات أفقية طويلة متوازية ، وللنوير ستة خطوط مماثلة أما علامات الدينكا فتقطع على شكل حبات بارزة تنتظم أسفل الجبهة .

إنتشرت علامات التمييز هذه بين كثير من شعوب « بلاد السودان » ونيجيريا وغيرها من شعوب غرب أفريقيا وتمتاز علامات التمييز عند هذه الشعوب بالتنويع ودقة التفاصيل (١).

وسأكتفي هنا بالتعرض لبعض الأمثلة من نيجيريا لتطابقها مع الشلوخ المعروفة في السودان ، فالخطوط العمودية أو الأفقية الثلاثة المنتشرة بين فروع قبيلة اليوربا لها مثيلاتها عند الجعليين أو الشايقية في السودان . بل أن الخطوط الافقية المتوازية الأربعة لها مايطابقها عند بعض الشايقية . انظر الاشكال ١٥، ١٦، ١٧ . (٢)



الشكل ١٥





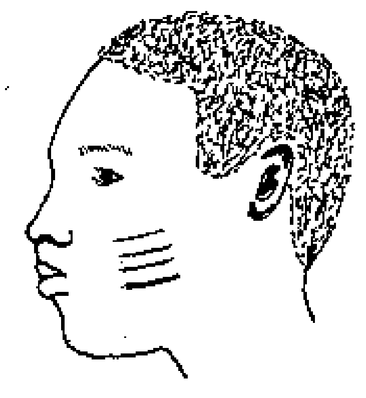
الشكل ١٦

وشلوخ النيجيريين كشلوخ السودانيين تزين وجه الرجال والنساء على حد سواء ومع أنها ترمز أساساً للتمييز بين قبيلة وأخرى فانها عند النساء قد تحمل معنى جمالياً . ولعل وجود تشابه بين بعض شلوخ اليوربا وشلوخ

(1) J.C. Foelieh, Catalogue des Scarification en Usage chez Certaines Populations du Dahomey et du Nord Togo", *Melanges Ethnologiques* No 23 IFAN, Dakar, 1953, pp. 253–265.

(2) Johnson. op. cit, 104–107

بعض السودانيين قد تعني وجود بعض الروابط الثقافية وتماثل العـــادات منذ امد بعيد وليس فيما لدينا من حقائق مما يؤيد هذا الرأى أو ما يرجح أن عادة الشلوخ قد انتقلت من ســـودان وادى النيل الى نيجريا أو العكس .



الشكل ١٧

ولعل الراجح ، وهو مايؤكده هذا الموجـــز لوضع علامات التمييز في بلاد النوبة أو ماجاورها من أقطار أفريقية ، أن هذه العادات كانت منتشرة في تلك البلاد في صورة أو أخرى قبل دخول العرب الى السودان وانتشار ثقافتهم بين الوطنيين . كما أن علامات التمييز لم تعرف بين سكان الجزيرة العربية إلا مؤخراً .

الشلوخ عند العرب فى العصر الحديث

عند استعراضى لمعنى كلمة الشلوخ ومرادفاتها فى اللغة العربية رجحت أن العرب لم يعرفوا الشلوخ بمعناها المتداول فى السودان ، اى سمة تميز قبيلة عن أخرى ، سواء فى العصر الجاهلى أو بعد ظهور الاسلام . وحقيقة الامر اننى لم أعثر على مايدل على وجود عادة الشلوخ بين العرب إلا فى بعض كتب الرحالة والشعراء الذين زاروا الجزيرة العربية فى القرن التاسع عشر

فقد لاحظ الرحالة على بك الذى زار الجزيرة العربية بين سنة ١٨٠٣ و ١٨٠٧ ، أنه جرت العادة فى تلك البلاد ان يضع الرجال ثلاثة خطوط (شلوخ) عمودية على كل خد . وعند استفساره للمكيين عن هذه العلامات التى تزين وجوههم ، ذكر له بعضهم بانها مجرد فصود للتخلص من الدم الفاسد بينما أخبره آخرون أنها سمة مميزة لمن وهبوا انفسهم لخدمة بيت الله(١) فالتفسير الأول يشير الى عملية جراحية تماثل (الحجامة) ويبدو لى ان التفسير الثانى يوضح غلبة (الرقيق) » أو « الاغوات وهم الخصيان الذين اعتقهم أصحابهم أو وهبوا انفسهم لخدمة بيت الله الحرام ، ومعظم هذه الطبقة من خدام الحرم الشريف قد جلبوا أساساً من أواسط بلاد السودان عن طريق ميناء سواكن فجدة الى الحجاز .

ويبدو ان ماورد من تفسيرات لهذه العادة لم تقنع على بك اذ يختم حديثه بقوله « ولكن الحقيقة انها الموضة التى تفرض مثل هذه التضحية أو العملية الجراحية ظناً منهم أنها تضفى شيئاً من الجمال ، كالوشم عند النساء . وهكذا الانسان » (٢) .

---

(1) *Ali* Bey, *Travels of Ali Bey in Morocco, Tripoli, Cyprus, Egypt Arabia, Syria, and Turkey between the years* 1803 *and* 1807 London, 1816, II,113-114

(2) *Ibid*, 11,114.

ويقول الرحالة البريطاني بيرتون في كتابه قصة حج الى مكة والمدينة الذى ظهرت طبعته الاولى عام ١٨٥٥ : في معرض وصفه لأهل مكة : في معظم الأسر وعندما يبلغ الذكور من الأطفال أربعين يوماً فانهم يؤخذون الى الكعبة للتبرك والابتهال لهم . ثم يحملون الى منازلهم حيث يعمل الحلاق موساه لقطع ثلاثة جروح متوازية على الجزء اللحمي من كل خد مبتدئا من الزاويا الخارجية للعين حتى تقارب أركان الفم . وهذه المشالى كما يطلق عليها ربما تكون ذات تاريخ حديث . ويقول المكيون: إن هذه العادة لم تكن معروفة عند أسلافهم. وقد حاولت أن اعيدها لاصول قديمة ولكن لايمكنني غير أن أنسب هذه العادة والتى مازالت منتشرة الى أصل وثني بالرغم من كل تحذيرات العلماء (٢) .

وفي تعليق له عن عادة المشالى يقول بيرتون : (أن هذه العملية تسمى التشريط أو الشخت) ثم يورد ماذكره على بلك عنها من أنها علامة تميز خدام بيت الله الحرام أو من أجل الفصاد Phlebotomy ولكنه ينسب تشريط الذكور هذا ، كما هو الحال في وشم البنات للتدلل والتغزل . ويضيف بيرتون أن السكان قد أخبروه بإن هذه العادة قد نتجت عن الحاجة الى حماية أطفالهم من المختطفين الفرس ، كما انها بقيت سمة مميزة (لمواطني) المدينة المقدسة . ولكن الانتشار الواسع لهذه العادة إنما يشير الى أصل ممعن في القدم فقد منع النبي محمد (ص) أتباعه صراحة من وسم أجسامهم بهذه العلامات أو المشالى . ويختم بيرتون تعليقه بان علامات التجميل هذه شائعة بين الأمم التى تعيش في المناطق الواقعة غربي البحر الاحمر . فبرابرة مصر العليا يزينون وجوههم بشلوخ تشابه شلوخ المكيين تماما. وشاهد بيرتون شلوخاً مماثلة على خدود القالا Galla (٢) .

ويلاحظ المؤرخ كرشتون ان الرحالة قد لاحظوا انتشار عادة الشلوخ

---

(1) R.F.Burton, *Narrative of Pilgrimage to Meccah and Medinah*. London, 1879, II,233–4.

(2) Ibid, II, p, 234 F,N.I.

بين الذكور من سكان مكة وجدة من غير البدو . وان هذه المشالي عبارة عن ثلاثة خطوط عمودية طويلة تعمل على الخدين ، بينما يوضع خطان آخران على الصدغ الأيمن وتبقى هذه العلامات واضحة مدى الدهر . ويؤكد كيرشتون ماذهب اليه بيرتون من أن المكيين يعتزون بها ويعتبرونها مظهراً جمالياً ودليلاً على مولد المرء في المدينتين المقدستين . وفي النادر ما توسم النساء بمثل هذه المشالي . (١)

ويضيف أحد المؤرخين أنّ المكيات يعتقدن انّ هذه المشالي تقي أطفالهن من شر العين (٢)

ونلاحظ مما أورده الرحالة الأوربيون من أنّ عادة المشالي تنتشر بين المكيين أساساً وبين سكان ميناء جدة . وهما مدينتان يغلب على سكانهما الوافدون من سائر بلاد العالم الاسلامي مثل الهند وجاوه (اندونسيا). ولقرب مكة وجدة من الساحل الأفريقي فلا غرابة أنْ يكثر من يترددون عليهما من القارة الافريقية .

وتؤكد تجرباتي الخاصة بين كثير من الأخوة من أبناء المملكة العربية السعودية أنّ هذه العادة ليست منتشرة في الجزيرة العربية بتاتاً،وماوجد منها فهو آت في الغالب من الحجيج الأفريقي ، خاصة الوافد من أواسط بلاد السودان ، أو من مخلفات العهود التي كان الرق غالباً عليها . ويميل كثير من مخبري هؤلاء (٣) أنّ مارآه الرحالة الاوربيون لاينطبق على العرب من سكان الجزة العربية . بل يرجحون أنّ بعض هؤلاء الرحالة رأها منتشرة بين الحجيج

(1) Andrew Chrichton, *History of Arabia and its People*, London, 1885 (New edition) p. 524, see also H.Von Maltzan, *Miene Wallfart nach Mekka*, Leipzig, 1855, II, P. 131, Quoted by J.Morgenstern, *Rites of Birth, Marrege, Death and Kindred Occasions among the Semites*, Chicago, 1966, PP. 28–28.

(2) C.Snouck Hurgronje, *Mekka in the Latter Part of the 19 Century*, London 1931, P. 97.

(٣) من هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر السيد الدكتور عبد العزيز عبد الله الخويطر والا ستاذ حمزة المزيني

الأفريقي وغيرهم من الوافدين فظنها عادة مكية . وحقيقة الامر ان الرحالة الاخرين الذين جابوا اجزاء كبيرة من الجزيرة العربية في القرن التاسع عشر وامتازوا بقوة الملاحظة ، مثل شارلز داوتي وجون لويس بوركهاردت لم يسترع انتباههم مثل هذه العادة بين البدو أو سواهم .

ومع هذا كله فلايستبعد أنْ يكون بعض العرب من سكان مكة قد أخذوا بهذه العادة بعد أن اختلطوا ببعض الوافدين .

أما في باقي أجزاء الجزيرة العربية فلم أعثر على مايفيد بانتشار عادة الشلوخ كسمة للتمييز بين قبيلة واخرى ففي منطقة الواحدى في اليمن الجنوبية ، يضع العرب ثلاث قشطات (من قشط ، يقشط) صغيرة على كل صدغ بقصد علاج وجع الرأس أو التخلص من ضغط الدم على العينين (١) كما يزعم . وقد اخبرني أحد الاخوة السودانيين أنّ قبيلة الحراريس التي تعيش في عمان بالخليج العربي تضع فصدات صغيرة مماثلة لشلوخ قبيلة البني عامر السودانية ولكنه لايعرف تفسيراً لها . (٢)

من كل هذا نستنتج أنّ العرب لم يعرفوا عادة الشلوخ بالمفهوم السوداني أي سمة تميز قبيلة عن أخرى. وأنّ ماروى أو عرف منها بينهم ربما كان لأسباب طبية بحتة . وحتى إذا كان هناك ثمة شلوخ في غابر الزمان فان عدم ذكرها صراحة في الشعر الجاهلي أو في المؤلفات العربية خلال عهود ازدهار الثقافة العربية والحضارة الأسلامية يدل على انها قد اندثرت تماما .

وعليه فليس هناك مايؤكد وجود أدنى صلة بين ما شاهده بعض الرحالة الأوربيين في الحجاز في القرن التاسع عشر والاشارات التي ورد ذكرها في بعض الثقافات السامية الغابرة .

---

(١) هذا ما رواه لي البروفسير R.B.Serjeant والدكتور G.R.Smith

(٢) اخبرني بذلك السيد محمد عثمان عباس الذي قضى بضع سنوات في منطقة الخليج العربي .



الشلوخ في السودان بعد الهجرة العربية الاسلامية

تأكد لنا عند حديثنا عن الشلوخ في السودان القديم ان تلك العادة راسخة في القدم وانها كانت منتشرة بين الرجال والنساء خاصة في منطقة حوض وادي النيل الأوسط . وكانت أكثر العلامات انتشاراً هي الخطوط العمودية الثلاثة والتي تعرف الآن (بثلاثة مطارق) (جمع مطرق وهي العصاة الصغيرة) (انظر الشكلين ١٨ و ١٩).



الشكل ١٩ الشكل ١٨

ولكن ما وصلنا من شواهد وادلة لايبين في جلاء القصد من هذه العلامات أهي ذات مدلول جمالي . ام قبلي ، أم اجتماعي ؟ ومهما يكن من أمر مدلولها فان العرب عند بدء هجرتهم الطويلة الى السودان التي استمرت منذ أواسط القرن السابع الميلادي حتى بلغت ذروتها في أواسط القرن الرابع عشر وجدوا ان عملية الشلوخ شائعة بين سكان المنطقة النيلية الواقعة شمال الخرطوم ، ومنهم انتقلت تدريجياً الى العرب الوافدين بعد أن طوروها واكسبوها مفهوما جديداً فيما أرجح .

ويبدو لي أن العرب ، وكان أغلبيتهم من البدو ، لما دخلوا السودان انتشروا في مبدأ الأمر في البوادي طلباً للرعي وتجنباً للمناطق الآهلة بالسكان على شواطئ النيل. ولكن هجرة العرب في أعداد كبيرة أدت في آخر الأمر الى استقرارهم على شواطئ النيل والى اختلاطهم ومصاهرتهم للوطنيين . ونتيجـــة لنظام الوراثة عن طريق الام تبوأ العرب الوظائف القيادية في المجتمع الجديد واستطاعوا عن طريق الالتحام نشر الاسلام والثقافة العربية مما أدى الى تفشي اللغة العربية والى تمثل الأنســـاب العربية تمثلاً كاملاً : وقد بلغ الالتحام والمصاهرة درجة قصوى في المنطقة الوسطى من حوض وادي النيـــل وهي المنطقة الواقعة بين دنقـــلا العجوز والخرطوم حتى نسي الوطنيون لغتهم الأصلية ولدرجة يتعذر معها الفصل بين الأجيال الجديدة من سلالة الوافدين وأبناء الوطنيين ممن كمل استعرابهم (١). وبكلمات أخرى انتقل المجتمع السوداني القديم الى مجتمع تغلب عليه الثقافة العربية بمؤسساتها القبلية ذات القيم البدوية ومن أهم هذه القيم المحافظة على النسب العربي الصريح لكل قبيلة كرمز لوحدة أبوتها وتماسك كيانها ، وتجسيداً لمفاخرها وتسالد أيامها .

فقبل هجرة هذه المجموعات العربية الى السودان لم يكن هناك مايهدد

---

(١) للتوسع في هذه النقطة ارجو النظر في :
Yusuf Fadl Hasan, *The Arabs and the Sudan*, Khartoum, 1973, PP. 135-176

هذه القيم البدوية ، ولكن عند استقرارها في تلك الديار وتفاعلها مع سكانها وتأثيرها فيهم وتأثرها بهم أحست هذه المجموعات العربية (والمستعربة منها) مايهدد كيانها العربي الصريح وجوهر تكوينها القبلي التقليدي .

ومع أنّ العرب قد انفتحوا على المجتمع الذي آواهم معاشرة ومصاهرة وتسرياً هالهم، فيما يبدو لي، أن تلاقحهم مع المجتمع السوداني قد أدى الى نتاج جديد أشبه شكلاً وأقرب لوناً الى الشعوب التي يعيشون بينها، فخشوا أن يذوب كيانهم وتضيع خصائصهم في خضم المجموعات البشرية التي آوتهم . لهذا كله ربما استفادوا من تلك العادات واتخذوها سمة لهم كي تميزهم عمن حولهم ، وتؤمن لهم المحافظة على كيانهم وقيمهم شكلاً وموضوعاً .

وبما شجعهم للمضي قدماً في تنفيذ هذه الفكرة أن بعض أحفاد هؤلاء المهاجرين ، وكانوا ذوي بشرة تميل الى السواد ، يتعرضون للرق من جراء الغارات التي يشنها تجار الرقيق وغيرهم أحياناً دون تمييز بين مسلم وسواه ، وخاصة في العهود التي ضعف فيها الكيان السياسي لممالك النوبة المسيحية ولم يستتب الأمر للممالك الإسلامية . ثم ان وجود علامات تمييز تمكن كل قبيلة من التعرف على أفرادها في ساعات الحرب التي كانت تكثر في عهود القيمان (١) .

ولاشك أن العرب قد لاحظوا تلك الخطوط التي يضعها النوبيون وغيرهم من سكان وادي النيل على خدودهم ولابد ان تكون مثل تلك العادات قد انتقلت تدريجياً الى أبنائهم وبناتهم عن طريق أمهاتهم النوبيات . ويبدو أنّ قوة فعالية الثقافة النوبية لدى السكان الاصليين وشدة تمسكهم بها قد فرضت نفسها على العرب الوافدين في أكثر من مظهر . ولعل خير مثال

---

(١) أو ايام القيمان ، تطلق على العهود التي كانت تكثر فيها الغارات القبلية بقصد النهب والسلب ، وقد كثر هذا النشاط في عهد سلطنة الفونج الاسلامية انظر ، يوسف فضل حسن ، دراسات في تاريخ السودان ، الخرطوم، ١٩٧٥ ج ١/ ١٠٢-١٠٤ .

لذلك دو تمثل العرب أو المرأة العربية أو المستعربة لعملية (المشاط) أو طريقة تصفيف الشعر التي كانت سائدة في تلك المنطقة منذ عهود سحيقة وقد انتقل هذا التقليد عن طريق المرأة . ومما يؤكد عراقة الشلوخ في سودان وادى النيل الأوسط شدة تمسك المرأة بها بل ظلت تقوم بمهمة (الشلاخة) أو (الجراحة) كما أن الجدات كثير مايعبن على من لم يلتزم بالمحافظة على هذا التقليد .

ومع أننا لانعرف مغزى تلك الفصدات التي يضعها النوبيون علـــى خدودهم . فيبدو لى أن العرب طوروا تلك الفصدات واتخذوها سمة أو وسماً ، وهو رمز اعتادوا وضعه على دوابهم ليفرقوا بينها وبين غيرها من دواب القبائل الأخرى . واطلقوا على هذه العلامات التى تزين الخدود لفظ (شلخ) أو (شلوخ) للدلالة على الأصل أو العرق وهو ماقصد هؤلاء العرب اثباته وتأكيده في مجتمعهم الجديد . فالمجموعات العربية التى اختلطت بالنوبيين في مبدأ الامر وتلاحمت معهم وأعطتهم اللسان العربى والدين الاسلامي والنسب العربى تمثلت تلك الفصدات السائدة بين النوبيين وتبنتها للدلالة على المجموعات القبلية الجديدة ، ونجد أنّ أهم تلك الفصدات هى الثلاثة خطوط العمودية وهى أقدمها تاريخاً وقد تبنتها المجموعة الجعلية وهى نتاج تمازج بين القبائل العربية والنوبية وتتمركز فى المنطقة الوسطى من حوض وادى النيل .

فالعلامـــات الموسومة على الوجوه بمفهومها الجديد أو الشلوخ نوبية (أوسودانية) أصلاً وشكلاً وعربية دلالة ـــ اذ هى وسم أو رمز لقبيلة دون اخرى . فلما كثر الاختلاط وتعددت بطون المجموعة الجعلية العباسية والتى تشمل البديرية ، والشـــايقية والمناصير والرباطاب والميرفاب والجعليين الذين يقطنون بين أتبره والخرطوم وغيرهم ظهرت أشكال أخرى للشلوخ غير الثلاثة خطوط العمودية . وبحجة المحـــافظة على الأصول العربية تبنت

المجموعة الجعلية فكرة الشلوخ وتمسكت بها حتى صارت سمة ودليلاً على عروبة أولئك القوم فيما بينهم أولاً وعند جيرانهم ثانياً(١). واظنني لا أعدو الصواب اذا قلت أن أفراد المجموعة الجعلية العباسية وهم أكثر القبائل السودانية عروبة، أو استعراباً ، وتمسكاً بالنسب العباسي ، وغيرهم من المجموعات المستعربة كانوا من أكثر سكان سودان وادى النيل تمسكاً بهذه الشلوخ دون سواهم من النوبيين والبجة والبدو من الأعراب الذين يقطنون البوادى بل لا تكاد أن تجد لها اثراً بين البدو من الأعراب (٢) .

ومن الطريف أنّ كثيراً من شيوخ السودانيين الذين يعيشون في المنطقة الوسطى من حوض النيل يذكرون كيف كان ينظر عامة الناس من سكان تلك المنطقة الى الشخص غير المشلخ (أو الامره) نظرة فيها شيء من الاستخفاف لانه أهمل عادة الآباء وسمة القبيلة. ويعتقدون أنّ إهمال الشلوخ وتركها ليس من أخلاق الاحرار (أى العرب) بل العبيد أى السود و (الحلب) أى الغجر . ومن أهملها كان في عداد هاتين المجموعتين وقد أخبرتني والدتي أن اكبر اخواتها قد أصر على أن يفصد بشلخ القبيلة وهو فتى قاربت سنه العشرون عاماً ، حتى لايوصم بترك عادة الاجداد . وهو نفس السبب الذى دفع جدة لى رغم معارضة والدتى أنّ يوسم وجهى ببعض الشلوخ ، وأنا طفل دون الثالثة ، وذلك عندما قرر أبي السفر للعمل بوظيفة حكومية بعيداً عن مسقط رأسه في إحدى قرى المحمية .

يتضح من هذا العرض أنّ الشلوخ رغم قدمها في المنطقة التى شهدت ازدهار حضـــارتي نبته ومروى قد اقتبسها المهاجرون العرب عند اختلاطهم

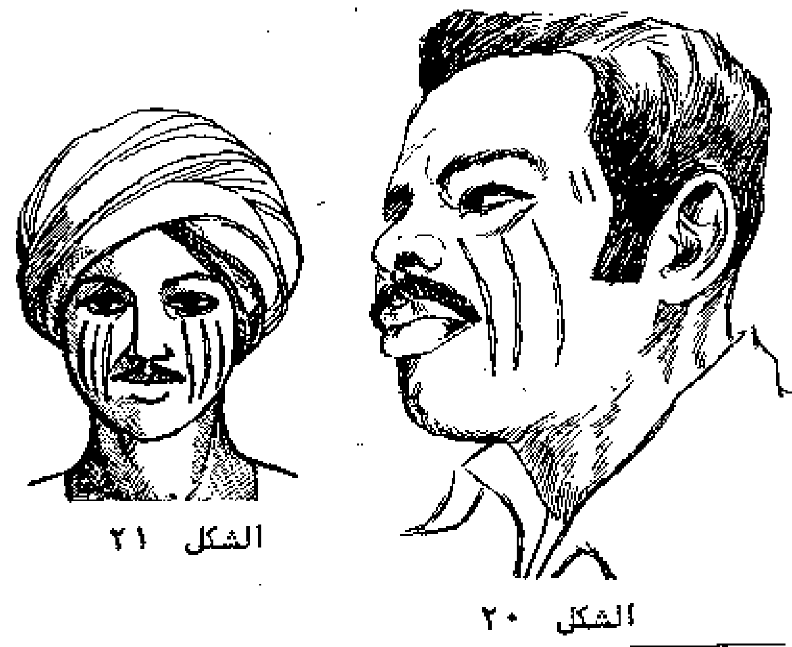
(١) ومع ان علاقة الشــلوخ بأقليم الجعليين قــد تدل على عكس ما ذهبنا اليه من عروبة الجعليين الا انه يتضح من غلبة الثقافة العربية على تلك المنطقة ان الشلوخ قد اكتسبت مضمونا عربيا وصارت سمة تميز بين مجموعة وأخرى .

(٢) وبمرور الزمن انتقلت الشلوخ من المجموعات النوبية ومن القبائل العربية والمستعربة الى مواليهم وسراريهم كسمة تميز انتماءهم ، بل نجدها اليوم بين الزاندى في الجنوب وبين النوبة في كردفان .

بالنوبيين وأكسبوها مفهوماً قبلياً يميز مجموعة عن أخرى . كما صارت ذات دلالة على عروبة المرء . ومع أن المجموعات العربية الأولى قد وجدت في هذه الشلوخ مايظمئنها على نسبها العربي ويميز كيانها القبلي . لكن بمرور الزمن اكتسبت هذه الشلوخ مفاهيم جديدة . فصارت النساء يضعنها بقصد الزينة والجمال . كما أصبحت ذات دلالات دينية عند الرجال . وفي الصفحات التالية أشكال الشلوخ المرتبطة بكل مفهوم من المفاهيم الثلاثة : القبلية والدينية والجمالية .

نماذج من الشلوخ ذات المغزى القبلي

ذكرت فيما تقدم أن سكان المنطقة الوسطى من حوض وادى النيل الأوسط قد احتفظوا ببعض أشكال الشلوخ التى كانت سائدة فى تلك المنطقة منذ عهود سحيقة خاصة الثلاثة خطوط العمودية [١] (وربما الخطوط الأفقية) [٢] . وهى أكثر انتشاراً بين سائر المواطنين في ذلك الاقليم . نجد أنّ هذه الشلوخ منتشرة في وقتنا هذا عند المحس الذين يقطنون منطقة كرمة . وشلوخهم طويلة ورقيعة . (انظر الشكـــل رقم ٢٠) وعند الدناقلة والبديرية ، وهي طويلة عميقة وعريضة تملأ سائر الخد وتشتهر باسم الشلوخ الدنقلاوية (انظر الشكل ٢١) .



الشكل ٢١

الشكل ٢٠

---

(١) انظر الاشكال رقم ١٦-١٧-١٨ صفحة ٣١ .

(٢) انظر الشكل رقم ٣ صفحة ١٢ الذى ربما كان بداية للشلخ الافقى.

ونلاحظ أن كلا من المحس والدناقلة (على قلة الشلوخ عند الأوائل) مجموعتان نوبيتان مازالتا تتحدثان بلهجات نوبية ، رغم اختلاطهما ببعض الدماء العربية(١). ولكن البديرية ، رغم تأثرهما ثقافياً ببيئة الشلوخ الدنقلاوية فهم فروع من المجموعة الجعليـــة . ونجد الشلوخ الثلاثة عند الرباطاب والميرفاب والجعليين أيضاً ، وشلوخ الأواخر رغم تعـــدد صورها قصيرة (أنظر الاشكال رقم١٨ ، ١٩) وبعضها شديد الشبه بالعلامات الموسومة على التمثال الموضح (بالشكل ١٣) .

وحقيقة الامر أنه مع التزام القبيلة بشلخ واحد على صورة معينة فان الشكل النهائي لذلك الشلخ يختلف في بعض تفاصيله من بطن لآخر وحتى بين أفراد الأسرة الواحدة . ويرجع ذلك الى الطريقة التي يختارها (الشلاخ) أو الجراح في عملية الفصدات ، وتتأثر هذه بشكل الوجه . وعادة ماتجرى عملية الشلوخ للذكور في سن مبكرة لاتتجاوز الخامسة على الارجح وتؤخر عند الإناث ربما حتى يبلغن العشر سنوات حين تتضح معالم الوجه ويكتنز لحما حيث يسهل على الجراح اختيار الصورة المناسبة للشلخ . وليس هناك اخصائي معلوم ينفرد باجراء عمليات الفصادة . اذ الغالب ان يقوم بها الحجام أو المزين أو البصير (الطبيب البلدى) أو القابلة وأمثالهم . وهناك من اشتهروا باجراء هذه العملية لحسن أدائهم لها ، مثل بنت المزين التى كانت تعيش في الدامر في أواسط هذا القرن وكانت قبلة لكثير من الراغبات في الشلوخ من سائر المناطق المجاورة .

نخلص من هذا كله الى أنّ المجموعات الجعلية العباسية ، عدا الشايقية قد اقتبست الشلوخ العمودية الثلاثة من تقليد قديم كان سائدا في تلك المناطق وان هذه الشلوخ قد صارت مع اختلاف في التفاصيل سمة تميز بين قبيلة وأخرى . ولم اعثر على مايفسر أسباب اختيار الجعليين لهذا (الشلخ) دون سواه من علامات التمييز . ويقول بعض الجعليين ان الثلاثة خطوط العمودية أي ااا ـــ مائة والحادى عشر تعنى كلمة كافى ، احدى أسماء الله الحسنى ،

(١) من المتواتر ان بعض سكان منطقة البديرية ظلوا يتحدثون بالدنقلاوية حتى بداية القرن الماضي .

اذا اسقطت بحساب الجمـــل . وعلى ضوء ما توصلنا اليه من قدم هذه الشلوخ الثلاثة خطوط العمودية في تلك المنطقة فان هذا التفسير غير منطقي .

ومع ان كلمتي (مشلخ جعلي) يشيران أساساً الى الثلاثة خطوط العمودية ، فان الجعليين قد عرفوا علامات تميز أخرى . ومن أشهر هذه



الشكل ٢٢

العلامات (السلم) ذو الدرجة الواحدة وهو كالحرف اتش H بالحروف اللاتينية (انظر الشكل ٢٢) ويسمي البعض هذا الشلخ بسلم الشيخ الطيب البشير الجموعي (١٧٨٤ — ١٨٢٤) منشيء الطريقة السمانية في السودان .

ولكن وجود كثير من الجعليين ممن يحملون هذا الشلخ من غير اتباع تلك الطريقـــة يجعلنا نتشكك في التسمية الأخيرة ، وهذه نقطة آمل ان اعودها عند حديثي عن المظهر الديني للشلوخ . وقبل أيام شاهدت سلما مقلوبا ⌶ على خدي احد الشيوخ من الفرعسين ، وهم فرع من الجعليين ، فسألته عن دلالته فاجابني بانه لايعرف شيئاً عن ذلك ، كما انه لم ير له مثيلاً عند أهله ولعل السبب في قلب السلم هو « السبر » وهو موضوع سأتعرض له فيما يلي .

ومن شلوخ الجعليين أيضاً الواسوق وهو كالحرف T ويسميه البعض (د رب الطير) أو عكاز ود حسونة (انظر الشكل ٢٣) ويعرف عند اتباع الشيخ العبيد ود بدر بعد أن اكتسب مفهوماً طائفياً (بمدقاق ود بدر) وربما رسم هذا الشلخ احياناً في هيئة تماثل الصليب + (انظر الشكل ٢٤) . والشلخ بصورته هذه جعل بعض الدارسين يتساءلون عما اذا كانت هناك صلة بين هذا الشلخ والصليب . فاذا تذكرنا ان الديانة المسيحية كانت سائدة في المنطقة الوسطى من حوض وادي النيل الاوسط ربما وجدنا قرينة تربط بين الشلخ + والصليب . ولعل مايقوي من دلالة هذه القرينة ان كثيراً من السودانيين الذين يعيشون في القرى في تلك المنطقة ظلوا حتى عهد قريب يرسمون صليبا من الكحل على جبهة الطفل عند مولده [1]. وبما ان هذه

الشكل ٢٣

(١) ولعل مما يرجح هذه القرينة ان كثيرا من الاسر ظلت حتى عهد قريب تحمل الطفل المولود حديثا الى النهر حيث تجري له بعض المراسم التي تشبه اجراءات «التعميد».



الشكل ٢٤

وشاركت قبيلة الفادنية الجعليون السكن واختلطت بهم اختلاطاً وثيقاً حتى صارت جزءاً من النمط الثقافي السائد في تلك المنطقة ومن ثم تمثل بعض أفرادها شلوخ الجعليين .

وبمرور الزمن ، ونتيجة هجرة الجعليين الى أقاليم السودان المختلفة وازدياد نفوذهم الثقافي والاقتصادي انتشرت شلوخ الجعليين في تلك المناطق. وحقيقة الأمر أننا نشاهد اليوم بعض شلوخ الجعليين مثل السلم عند الدناقلة في أقصى الشمال . بينما يروى ماك مايكل أن هذا السلم سمة لرقيق السلطان على دينار في اقصى الغرب (١) .

كل هذه النماذج التي ذكرتها من شلوخ الجعليين تكاد تكون وقفاً

---

(١) H.A.MacMichael, *A History of the Arabs in the Sudan*, London, 1922, Vol. I,P.214.

وذكر آدم الزين ، التراث الشعبي لقبيلة المسبعات (شرق مدينة الفاشر) شعبة ابحاث السودان ، جامعة الخرطوم ، ١٩٧٠ ص ٤٧ ، ان من يتشلخون بين المسبعات هم عبيد ابناء السلطان على دينار ،

على الرجال عدا الشلوخ الثلاثة التي تشاركهم النساء فيها . وللنساء مجموعة ينفردن بها سنتعرض لها عند الحديث عن المظهر الجمالي للشلوخ .

وينفرد الشايقية ، وهم من أهم قبائل المجموعة الجعلية ، بشلخ خاص بهم وهو عبارة عن ثلاثة خطوط أفقية متوازية عند أوسطها من عند الفم حتى أقصى الخد. وهناك قلة من الشايقية تضع أربعة خطوط افقية متوازية. والسبب في ذلك كما روت لي سيدة فضلي ان شكل الوجه ودرجة اكتنازه باللحم تحدد عدد الفصدات التي يستطيع الشلاخ أن يضعها . (انظر الاشكال ٢٥ و ٢٦)



الشكل ٢٦ الشكل ٢٥

فمعظم الناس تناسبهم ثلاث فصدات الا أن قلة منهم خاصة ذوى الوجه المستدير يصلح فيها الأربع ، اذ تكون أجمل منظراً ، وتنتشر هذه الخطوط الأفقية المتوازية عند الرجال والنساء على حد سواء . وكانت (شلوخ الشايقية) وهذا اسمها سائدة في سائر بلاد الشايقية حتى عهد قريب . عندما أخذ الشايقية بصور أخرى للشلوخ من جيرانهم . والشايقية من أكثر القبائل اهتماماً بهذه الشارات التي تميزهم عن سواهم . وهم حريصون عليها لعدة عوامل : أولا كانوا أقوى قبيلة في منطقة استراتيجية تحتل الجزء الشمالي من مملكة الفونج الاسلامية . وكانت تحيط بالشايقية وتختلط بهم مجموعات

وادى النيل الاوسط ، ام أن ذلك التقليد قد اندثر تماما ، حتى جاء الشايقية واقتبسوه من جيرانهم . وتنتشر هذه الشلوخ بين الشايقية فى الجزء الشمالى من ديارهم فى العفاض ، والدبة والغابة وهى مناطق يتشر فيها البديرية وتتاخم لبلاد الدناقلة . وربما انتقلت اليهم نتيجة الجوار والاختلاط . وتكثر ايضا فى الجزء الاوسط من ديار الشايقية حول مروى ونورى وكريمة والبركل وهذه المنطقة رغم بعدها من ديار البديرية والدناقلة فانها تمثل مركز الثقل الإدارى والتجارى وربما الطائفى فقد نزحت اليها مجموعات من غير الشايقية لسهولة المواصلات اليها ووفرة سبل كسب العيش ، ويعيش فى هذه المنطقة اسرتان دينيتان هامتان أولاهما اسرة الحمدتويات وتعيش فى نورى ويروى انهم بكرية من ذرية أبى بكر الصديق (١) . ويبدوا انهم قد اقتبسوا هذه الشلوخ الثلاثة العمودية قبل استقرارهم فى هذه المنطقة والاسرة الثانية هم الكوارير (آل كاروورى) ، وهم بديرية ، والثلاثة خطوط العمودية هى شلوخ اهلهم التقليدية . وعند انتقال هاتين الاسرتين الى المنطقة الوسطى واختلاطهم بالشايقية ومصاهرتهم لهم ، انتقلت شلوخهم الى الشايقية ربما بقصد التبرك.ويرى البعض أن الشايقية قد فضلوا هذه الشلوخ الثلاثة العمودية لاسباب جمالية بحتة ، اذ تعتبر الثلاثة شلوخ (المطارق) اجمل شكلا رغم انها خارجة عن التقليد القبلى . ولحسن منظرها نجدها اكثر إنتشارا عند النساء دون الرجال وقد تغنى بها كثير من الشعراء وروجوا لها فى الغناء الشعبى فازدهرت بين السكان (٢) (انظر الشكل رقم ١٨ و١٩).

وللعبدلاب ، سلالة الزعيم العربى عبد الله جماع القاسمى الذى وحد

---

(١) محمد النور بن ضيف الله : كتاب الطبقات ، ص ٣/٢٥٦ وقد ذكر لى بعض الناس انهم رأوا أربعة مطارق يتوسطها عارض وربما كان مثل هذا الشلخ نادر الحدوث لا نجد له أرشيلا له .

(٢) ولعل مما شجع على انتشار هذه الشلوخ العمودية بين الشايقية هو ان اغلبيتهم من اتباع الطريقة الختمية وكانوا يدينون بالولاء لزعيمها السيد على الميرغنى ، الذى تزين خده ثلاثة شلوخ عمودية ، فاقتبس الشايقية هذه الشلوخ تبركا بزعيمهم الروحى ، كما كان الحال عند اتباع الشيخ حسن ود حسونة وغيره .

القبائل العربية وقضى على مملكة علوة المسيحية فى اواسط القرن الخامس عشر وانشأ أول مملكة عربية فى حوض وادى النيل الاوسط : شلوخهم الخاصة بهم . ومنذ أول القرن السادس عشر ظل العبدلاب يسيطرون عـــلى الجزء الشمالى من سلطنة الفونج الاسلامية فى تحالف مع ملوكها فى سنار وعلى هذا الجزء الشمالى ، والذى شهد مولد أولى التجمعات القبيلة العربية الكبرى مثل الجعليين والشايقية بسط العبدلاب نفوذهم السياسى . ومن ثم كان لابد لهم من سمة تميزهم عن تلك القبائل . فاتخذ العبدلاب لهم (شلخاً) خاصاً بهم هو عبارة عن ثلاثة خطوط عمودية متوازية (شلوخ الجعليين) يتصفها خط أفقى H وتعرف عندهم بالثـلاثة مطارق وعارض (١) (انظر الشكل رقم ٢٧) ولاندرى متى اتخذ العبدلاب هذه الشارة سمة لهم



الشكل ٢٧

ولكن الملاحظ أن الرحالة الاوربيين الذين زاروا بلاد العبدلاب فى قرى

(١) وقد ذكر لى بعض الناس انهم رأوا اربعة مطارق يتوسطها عارض H وربما كان هذا الشلخ نادر الحدوث لا ننى لم أر مثيلا له .

وحلفاية الملوك لم يشيروا الى هذا التقليد . ومهما يكن من تاريخ هذه الشارة فلا شك أنّ العبدلاب قد اتخذوا هذا التقليـــد كغيرهم من المجموعات العربيـــة التي استقـــرت على شواطيء النيل واختلطت بالسكان الوطنيين . وهم أكثر منهم عدداً . كما أن الشلوخ كانت أمراً ضرورياً يميز العبدلاب عن سواهم وهم يشنون الغارات ويرسلون الجيوش في سائر أنحاء البلاد .

ولنساء العبدلاب شلخ خاص بهن ، وهو عبارة عن ثلاثة خطوط عمودية تسند على خط أفقي ويسمى العارض ، ومن نساء العبدلاب انتقل العارض الى المناطق الأخرى حيث فضلته كثير من النساء على سواه لجمال منظره (انظر الشكل رقم ٢٨) وقد جاء على لسان أحد الشعراء الشايقية غزل بالمذكر قال فيه :

يالسعدابي الزول الجماله خلاقي　　　　مـــوزون شلخـــه عبـــدلابي



الشكل ٢٨

ويبدولي أنه بانتهاء نفوذ العبدلاب السياسي في سنة ١٨٢١ وازدياد نسبة الوعي في منطقة ملتقى النيلين فقـــدت شلوخ العبدلاب علة بقائها . كما ان إنتشار الطرق الصوفية في تلك المنطقة وازدياد هيمنتها على كثير من السودانيين دون اعتبـــار لانتماءاتهم القبلية خفف من غلواء التعصب القبلي فأدى هذا التغيير الى إهمال الشلوخ ذات المدلول القبلي .

وفي المنطقة الوسطى من حوض وادي النيل ، كما ذكرت ازدهرت الشلوخ ذات المدلول القبلي ، ومنها فيما أرجح انتقلت نفس الشلوخ الى بعض أقاليم السودان الأخرى ، عندما هاجر ممثلوا القبائل التي كانت تعيش في تلك المنطقة . فقد هاجرت تلك القبائل سعياً وراء التجارة أو بحثاً عن حياة

أرغد أو هروباً من القهر والمجاعات أو بغية نشر تعاليم العقيدة الاسلامية في اقاليم كردفان ودارفور والجــزيرة وذلك بين القرن السابع عشر والتاسع عشر فحملت نماذج من الشلوخ معها ومنها انتقلت الى بعض المجموعات على سبيل التقليد أو نتيجة الاختلاط .

ولاشك أن الشلوخ قد عرفت بين مجموعات عربية أخرى من غير التي تعيش في حوض وادي النيل الأوسط كالكبابيش والشكرية والضبانية والحمران وكلها من قبائل البادية (١). ويغلب على القبائل الثلاث الأخيرة استعمال الشلوخ العمودية الثلاثة وتنتشر نفس الشلوخ العمودية — مع اختلاف في طولها وعمقها بين قبائل البجة . وتكثر بين الأرتيقة والكميلاب وبعض فروع قبيلة الهدندوة كالشرعاب والقــرعيب والبشارياب (٢) (انظر الشـــكل رقــم ٢٩) وتشاهد علي خدود البني عــامر والحبــاب (٣) وشلوخهم أشبه بشــلوخ الحمران .



الشكل ٢٩

ويبدو لى أن انتشار الشلوخ وتمثلها فى مناطق أخرى أقل استــعراباً من ديار الجعليين خاصة

(١) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ص ٢٤٥

(٢) بعض البشارياب يحملونها افقية ، كشلخ الشايقية ، وربما كان هذا نتيجة « السر » كما قال الاستاذ محمد ادروب اوهاج .

(٣) محمد ادروب اوهاج ، من تراث البجا الشعبى ، شعبة ابحاث السودان ، جامعة الخرطوم ، ١٩٧١ ، ص ٩٨ .

أو سكان المنطقة الوسطى من حوض وادي النيل الأوسط عامة ربما يعكس ظاهرة تماثل تبني النسب العباسي وتمثله بين مجموعات كبيرة من سائر السودانيين اذ أن الشلوخ قد صـــارت عند البعض في صورتها القبلية سمة لعروبة المرء .

الوظيفة الدينيـــة للشلوخ

عند دخول العرب السودان وتلاحمهم مع الوطنيين تمثل هؤلاء الثقافة العربية تمثلاً كاملاً ، وقد أوضحنا ان الشلوخ ربما كانت — كعلامات للتميز القبلي — أحد مظاهر هذا التلاحم الجديد بين العرب والنوبيين وغيرهم من الوطنيين. وفي خلال هذه الفترة أيضاً حلت العقيدة الاسلامية مكان المعتقدات المسيحية والوثنية التي كانت منتشرة في تلك الديار . وبانعـــدام حكومة مركزية قوية ، إذ أن سلطنة الفونج الاسلامية (١٥٠٤ — ١٨٢٠) كانت في كثير من مظاهرها السياسية جماع لتحالف مجموعات عربية ، صار لسكان وادي النيل ولاءان رئيسيان أولهما للدين الاسلامي وثانيهما للتكوين القبلي وقيمه . وفي إطار الولاء للعقيدة الإسلامية كانت الغلبة لتعاليم الطرق الصوفية ، فقد وجد عامة الناس في الاولياء والصالحين ملاذاً روحياً وعوناً مادياً ضد قسوة الحياة وظلم الولاة . وحقيقة الأمر أن مشايخ الطرق الصوفية وجدوا من الإحترام والتأييد من المواطنين ، رجالاً ونساءً ، ما مكنهم من بسط نفوذهم خارج الأطر التقليدية للقبائل التي ينتمون اليها أو يعيشون بين أكنافها وبتعبير آخر اخترق الولاء الصوفي الولاءات القبلية المتفشية في البلد وأصبح سلطان الشيخ الصوفي يمتد الى آفاق جديدة خارج التقسيمات القبلية التقليدية . وقد أدى ذلك الى بروز تجمعات طائفية أساسها الولاء للشيخ (شيخ الطريقة) ومن ثم كان الولاء للطريقة (في اطار العقيدة الاسلامية) أرحب من الولاء القبلي الضيق .

وقد عبرت الشلوخ ذات الجذور الثقافية العميقة في مجتمع سودان وادي النيل الأوسط عن هذا التغيير في مضمون الولاء ، فاتخذت لها معناً جديداً يختلف عن المضمون القبلي التقليدي الذي يربط بين أفراد القبيلة الواحدة إذ صارت شلوخ الشـيخ (أو أسرته) رمزاً للمضمون الجديد الذي

يربط بين أتباع الطريقة الواحدة. وقد ارتبط هذا التحول في بادىء الأمر بعض أتباع الطريقة القادرية الجيلانية ثم باتباع الطريقة السمانية ثانياً. وسنتابع بعض مظاهر هذا التحول في تسلسل تاريخي.

تعتبر الطريقة القادرية من أول الطرق الصوفية دخولاً الى السودان واكثرها انتشاراً بين المواطنين. وقد انتشرت على ايدى جماعة من المشايخ اشهرهم وأكبرهم تأثيراً تاج الدين البهارى الذى وفد الى السودان في نحو سنة ١٥٧٧م. وسلك تاج الدين عدداً من المريدين أشهرهم خليفته محمد الهميم، وبان النقا الضرير والشيخ عبد الله بن دفع الله العركى. وممن نشروا تعاليم الشيخ عبدالقادر الجيلاني منشيء الطريقة القادرية في العراق، الشيخ ادريس ود الأرباب والشيخ حسن ود حسونة. وحول أسر هؤلاء المشايخ وأبنائهم إنتشرت الطريقة القادرية في أماكن مختلفة من البلاد كالمندرة وأبي حراز وستار والعيلفون والبطانة وغيرها. وقد أدى ازدهار هذه المراكز المتعددة للطريقة القادرية أن ظل كل شيخ من رؤساء هذه المراكز الدينية مستقلاً عن رصفائه إلا ما يربط بينهم من وشائج التراضي والمحبة التي تربط بين أتباع الطريقة الواحدة.

وربما كان أول من اقترن اسمه بفكرة الشلوخ ذات المضمون الديني هو الشيخ ادريس ود الارباب الذى أدخل الطريقة القادرية ونشرها في منطقة العيلفون على النيل الازرق. ولد الشيخ ادريس ود الارباب سنة (٩١٣ — ١٠٦٠ هـ — ١٥٠٧ — ١٦٥٠ م) بقرية العيلفون الواقعة جنوب الخرطوم بحرى أو بالحليلة شوحطت بالقرب من شمبات شمالى الخرطوم بحرى وهذه المنطقة مأهولة بالمحس الذين هاجروا اليها قبل قيام سلطنة الفونج من ديار المحس الواقعة بين الشلالين الثاني والثالث. وقد اختلط المحس في موطنهم الأول بمجموعات عربية كثيرة منها الخزرج — احدى قبائل الانصار ولما استقروا في منطقة النيلين عند توتي وشمبات والصبابي والعيلفون وما جاورها نسوا تدريجياً لسانهم النوبي وصارت العربية لغة لهم. والى هذه

المجموعة النوبية المستعربة ينتمي الشيخ ادريس ود الارباب .

وفي العيلفون وهي محطة هامة على « درب الجمل » أو الطريق التجاري اشتهر الشيخ ادريس بالعلم والتقوى فأوقد نار القرآن والعلم وأرشد المريدين في سلك القادرية ، وبنى الحلاوي والتف حوله طلاب العلم ومحبو الطريقة . ولانستبعد في مثل هذا المجتمع أن يكون بعض أهل الشيخ ادريس من المحس قد حافظوا على عادة الشلوخ ، ذات الثلاثة خطوط العمودية أو ثلاثة مطارق III والتي كانت سائدة في موطنهم الأصلي في بلاد النوبة . وقيل ان الشيخ ادريس كان مشلخاً ثلاثة مطارق ، ويروى أن هذه الشلوخ قد عرفت في منطقة العيلفون باسم (مطارق الشيخ ادريس) وقد أكد لي شيخ من تلك المنطقة أن هذه الشلوخ مازالت تعرف في منطقتهم باسم الشيخ ادريس ، كما أن وسم بهائم أسرة الشيخ ود الأرباب عبارة عن ثلاثة مطارق متوازية مائلة /// . ومع عدم وجود مايرجح هذه الروايـــة لطول العهد ، فلايستبعد ان يكون الشيخ ادريس ملشخا كعادة أهله في ذلك الوقت ، ونسبة للمكانة الرفيعة التي كان يتمتع بها بين مريديه من اتباع الطريقة القادرية وتلاميذه ، فلا غرو أن تكتسب شلوخ الشيخ ادريس شيئاً من التقدير والاحترام بين اتباعه مما حدا ببعضهم لاتخاذها سمة لهم تميزهم عن أتباع الطرق الأخرى . ولكن نسبة لانتشار الثلاثة مطارق العمودية سمة قبلية بين مجموعات كبيرة من سكان حوض وادي النيل الاوسط فـــان اتخاذها كشارة دينية بين فئة من مريدي الطريقة القادرية لاتخلق منها التمييز الديني الدقيق الذي حققه أتباع الطرق الاخرى كما هو مبين في الأمثلة الآتية وحقيقة الأمر ان قلة معرفتنا بما حدث في ذلك الزمان الباكر تجعلنا نحجم عن ابداء رأي قاطع في هذا المثال .

ولعل من أول من تمثل « الشلوخ » في مضمونها الديني هم أتباع الشيخ حسن ود (اي ولد) حسونة بن الحاج موسى . وكان جد الشيخ لأبيه قد قدم من المغرب وتزوج إمرأة من المسلمية ، وهي قبيلة صغيرة يرجع

نسبها الى أبي بكر الصديق . وتزوج ابنه حسونة من امرأة من الصواردة انجب منها اربعة اطفال — ثلاثة ابناء وبنت — لم يتركوا عقبا من بعدهم . وولد الشيخ حسن (في نحو سنة ٩٦٨ هـ — ١٥٦٠) (١) وتوفي سنة ١٠٧٥هـ — ١٦٦٤ م) (٢). في جزيرة كجوج الواقعة جنوب شندى وسكانها من الجعليين والصواردة . وكان خاله الشيخ لقاني عالماً جليلاً درس الفقه على الشيخ عبد الرحمن بن جابر . وبعد أن نهل الشيخ حسن قدراً من الثقافة الدينية المتوفرة في تلك المنطقة اخذ يتجول في بعض أقاليم السودان بحثاً عن شيخ يأخذ عليه طريقة صوفية . ويقول محمد النور بن ضيف الله انه سلك في آخر الامر الطريقة القادرية بمدد من الرسول صلى الله عليه وسلم . وبعد دخوله « الخلوات » وانقطاعه للعبادة على عادة رجال الصوفية حج الى بيت الله الحرام وزار الحجاز والشام . ثم خرج من موطنه التقليدي جنوب شندى الى بادية البطانة حيث استقر بين عرب البطاحين، وهي قبيلة قرشية يربطها النسابة السودانيون بالمجموعة الجعلية . وهنا حفر الحفائر واهتم بتربية الماشية حتى كثر ثراؤه منها . وكان يمتلك من الرقيق والخدم أعداداً كبيرة جداً . واشتهر بالكرم والصلاح ، فسار بذكره الركبان . وتدفق عليه أرباب الحوائج والمرضى وذوو العاهات والراغبون في بركته ، واستقر بعضهم مجاوراً له ، بالقرب من قريته التي اشتهرت باسم « ودحسونة»(٣).

ويزين وجوه أتباع الشيخ حسن ودحسونة واحفاد أخيه لأبيه عبد الفتاح شلخاً خاصاً على هيئة ١٧١ ويعرف بشلخ الشيخ حسن ويسميه البعض « الشبور » (انظر الشكل رقم ٣٠). ولاندرى متى تميز اتباعه بهذا الشلخ: أكان ذلك في حياة الشيخ أم بعد مماته.وقد روى بعض اتباع الشيخ حسن انهم وجدوا هذه العلامة مرسومة على قبة الشيخ حسن ولايدرون لها

---

(١) الصديق حضرة ، نسبة الفكي الصديق حضرة ، مخطوط بدار الوثائق المركزية الخرطوم ، ص ٤٩٣ .

(٢) محمد النور بن ضيف الله ، الطبقات ، ص ١٤٨ .

(٣) المصدر السابق ص ١٤٠—١٤٣ .

اصلاً (٢). ويذكر آخرون أن معنى ذلك الشلخ «حسن» بحساب الجمل، ولكن اذا حسبنا مجمل أرقام « حسن » بحساب الجمل ٨+٥٠+٦٠ وجدناها تساوى ١١٨ وليس ١٧١. ويروى الأتباع أن الأصل كان ١١٨ ثم قلب الى ١٧١ لأسباب لايدرونها ومهما كانت أصل هذه الفصدات الثلاث فيبدو لى انها كانت وسم ماشية الشيخ حسن ودحسونة ، ثم اتخذها أفراد اسرته الحسوناب تميزاً لهم عن القبائل الاخرى وتبركاً وتيمناً بالشيخ حسن ودحسونة، ومنهم انتقلت الى عامة اتباعه من أبناء القبائل الأخرى . ولما كان الشيخ حسن ود حسونة مشهوراً بورعه وصلاحه وكراماته ومايغدقه من عطف وكرم ورعاية لاتباعه وتجسيداً للطريقة فى نظر اتباعه صار وسم الشيخ أولاً وشلخه ثانياً تعبيراً وتمييزاً الاخوة دينية فى اطار طائفة القادرية .

الشكل ٣٠

وقد يرسم شلخ الشيخ حسن بصورة آخرى منها أن الفصدة الوسطى تبدو وكأنها حرف Y* واحيانا تترك الفصدة الوسطى منفردة دون الخطين العمودين وقد رأيت وجه أحد اتباع الشيخ حسن ود حسونة وقد زين خده الأيمن شلخ حسن ود حسونة ، وعلى الخد الأيسر T. وقال إن الشلخ الثاني قد وضعه والداه تيمناً بالشيخ العبيد ود بدر. ولهذا جمع رجل واحد بين «شلخى» الشيخ حسن والشيخ العبيد تبركاً بالاثنين وهذه ظاهرة نادرة الحدوث

* ويبدو هذا الفصد كالشبة ، ويعرف احيانا بعصاة الشيخ حسن ود حسونة .

(انظر الشكل رقم ٣١) .

وتتضح صورة هذا الانتقـــال من المضمون القبلى الى الوظيفة الدينية للشلوخ بصورة أوضح بين اتباع الطريقة السمانية التى انشأها الشيخ محمد عبدالكريم السمانى فى المدنية المنورة، وعنه اخذها الشيخ احمد الطيب البشير الجموعى (١١٥٥-١٢٣٩/١٧٤٢-١٨٢٤) . وكان الشيخ احمد الطيب قد درس الفقه والعـــلوم الدينية فى المدينة المنورة ، وهنالك انخـــرط فى سلك الطـــريقة السمانية . وعند عودته للسودان انشأ له خلوة فى قرية أم مرح وسط ديار اهله الجموعية . والجموعية فرع من قبيـــلة الجعليين ، ويعيشون غرب النيل شمال ام درمان . وفى الجزيرة نشرها بين الحلاوين والكواهلة واليعقوباب (وكانوا من اتباع الطريقة القادرية) وغيرهم. وكان الشيخ الطيب ، وهذا هو الاسم الذى اشتهر به ، رجـــلا صالحا غزير العلم ، ذا مؤلفات صوفية كثيرة .

الشكل ٣١

ويشتهر اتباع الطريقة السمانية فى سائر هذه المناطق بأنهم يتميزون عن سواهم بشلخ خاص بهم يعرف بسلم الشيخ الطيب . ويمكن مشاهدة هذا السلم فى ثلاثة اشكال مختلفة ، أولها ، ولعله اشهرها واكثرها ارتباطا باسم الشيخ الطيب هو السلم ذو الدرجتين I=I (انظر الشكل رقم ٣٢) ويعرف هذا السلم ايضا وبسلم العقيدة، وثانيهما هو السلم ذو الدرجة الواحدة H والذى سبق ان كان منتشرا ومايزال ، بين مجمـــوعات كبيـــره من الجعليين الذين يكون الشيخ الطيب وأهله من السروراب والجميعاب وسائر الجموعية


الشكل ٣٢

قسما منهم .(انظر الشكل رقم ٣٢) ولاشك ان هذا الشلخ كان معروفا قبــل مولد الشيخ الطيب ونشره للطريقة السمانية . والصــورة الثالثة لسلم الشيخ الطيب ، وهــو اقلها انتشارا . عباره عن اربع فصدات على هيئة مستطيل أومربع (١) ويقول البعض أنه كان في الأصل شلخ الجميعاب ، بينما يربطه آخرون بالفتيحاب .

ومهما يكن من أمرأصل هذه الشلوخ الثلاثة ، فالراجح أنّ الشلخين الأخيرين : السلم ذو الدرجة الواحدة والمستطيل كانا معروفين بين أهل الشيخ الطيب في المناطق الواقعة بالقرب من أمدرمان وشماليها . فلمّا عمت الطريقة السمانية تلك المنطقة ربط أتباع الشيخ الطيب من خارج منطقة ملتقى النيلين بين شلوخ أهله والطريقة السمانية فصارت تلك الشلوخ شارة لاتباع الشيخ الطيب . اما السلم ذو الدرجتين وهو اكثر هذه الشلوخ ارتباطا باسم الشيخ الطيب كما يرجح كثير من اتباع الطريقة السمانية ، فيبدو انه تطوير للسلم ذى الدرجة الواحدة الذى اقترن بالجعليين كشارة قبلية . وقد أضيفت الفصدة أو الدرجة الثانية ليصير السلم ذو الدرجتين الواحدة اكثر دلالة على الطريقة السمانية . وليس هناك اى قرينة نسترشد بها لتحديد التاريخ الذى تم فيه هذا التغير ومع ان اتباع الشيخ الطيب ينفون ان رائــد الطريقة السمانية في السودان كان يحمل شلخا . فان جماعة منهم ترجح انه كان يزين وجهه بشارة القبيلة التقليدية .

(١) وتعرف عند البعض « بالاوضة » أي الغرفة .

ولعل القصة التالية توضح الاهتمام باليمن والبركة الذى يوليه المنخرطون فى سلك السمانية لسلم الشيخ الطيب : روى لى احد السادة السمانية ان احد اقرانه في المدرسة ، وهو ممن ينتمون لاسرة تدين بالولاء للطريقة السمانية . كان خالي الوجه من الشلوخ عندما فارقه وهما فى الخامسة عشر من عمريهما . وعندما التقى بي مرة ثانية ، وكان ذلك بعد مضى نحو ثمانية أعوام شاهد على خديه آثار فصادة جديدة هى سلم الشيخ الطيب فاستفسر عن سر ذلك ، خاصة وان الشلوخ تعمل فى سن مبكرة . فقال الرفيق : انه رأى في منامه صورة وجهه في المرآة موسوما بسلم الشيخ الطيب ، فما كان منه الا ان امتثل لذلك التوجيه ووضع ذلك الشلخ تيمنا بالشيخ الطيب وتبركا بشلخه . وذكر لى احد اتباع الطريقة السمانية من قرية قندال ، الواقعة بالقرب من قرية ود الحداد بالجزيرة ، مايروى عن الشيخ الطيب أنه قال : "الاسمه على اسمي والشلخه على شلخي ، النار مابتاكله". ومع اعتقادي أن هذا القول قد وضع على الشيخ الطيب فأنه يبين مدى ما يعتقده بعض أتباع الطريقة السمانية في جدوى هذه الشلوخ ودرجة تأثيرها على معتقداتهم الدينية .

وكان البادراب رابع أسرة دينية تثرى المفهوم الدينى للشلوخ . والبادراب فرع من قبيلة المسلمية يتبع أفرادها تعاليم الطريقة القادرية ، وقد ارتبط تأريخ القبيلة الحديث بمؤسسها الشيخ محمد بن احمد ود بدر . . . المشيخي البكرى – نسبة للخليفة أبي بكر الصديق . وقد اشتهر زعيمها هذا باسم الشيخ العبيد ود بدر . وقد ولد في قرية الحوارة بالقرب من شندى في سنة ١٢٢٦ / ١٨١٠ (١) ؛ وأمه رية بنت (أبوزيد) من قبيلة الحسانية ، وتنتمى بصلة القربى إلى أسرة الشيخ صغيرون . ونشأ الشيخ العبيد محباً للعلم كثير التردد على المساجد راغباً في صحبة الأولياء وزيارة مقاماتهم ، كثير السياحة من قرية إلى أخرى . واستقر به المطاف في قرية النخيرة الواقعة على بعد نحو أربعين كيلومتراً شرق أم ضبان فأنشأ « الخلوات » لطلاب العلم وللضيوف من

(١) توفي سنة ١٣٠٢/١٨٨٤ .

أتباعه. وفي سنة ١٨٤٧ انتقل إلى أم ضبان الواقعة على بعد خمسين كيلومترا شرق الخرطوم بحري. وهناك تقاطر عليه الطلاب والمريدون من أتباع الطريقة القادرية فشيد مسجدا وبنى الخلوات والمساكن للطلاب والأتباع . فصارت أم ضبان بمثابة مدينة مدرسية تكرس طاقتها لتدريس القرآن والعلوم وهداية المريدين في سلك الطريقة القادرية

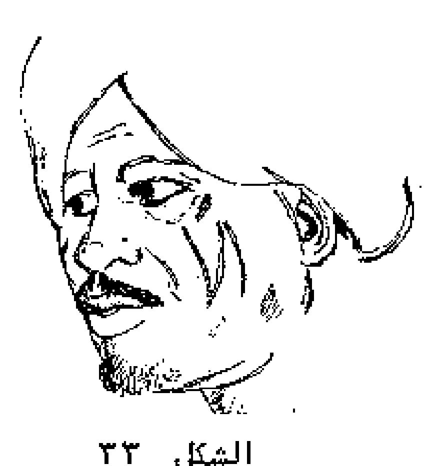
وتقع أم ضبان موطن البادراب الجديد في منطقة تغلب عليها حياة البداوة حيث يهتم الناس بتربية الأبل والغنم ، كما هو الحال في منطقة ود حسونة . وكان البادراب فيما يروى يسمون إبلهم بحرف T ويعرف بمدقاق ود بدر . واتخذ احفاد ود بدر هذا الوسم سمة لهم كتمييز قبلي ومنهم انتقل الى سائر اتباع الشيخ ومريديه فاكتسب مفهوما دينيا . (١)

ولكني أميل الى ترجيح رأى اخر وهو أن الشيخ العبيد قد حمل هذ الشلخ معه من منطقة الجوارة حيث يكثر استعماله في تلك المنطقة كشارة قبلية ، ومنه انتقل إلى أحفاده ثم مريديه . ومهما يكن أمر هذا الشلخ فأن قوة العنصر العقائدى في تكوين هذه الأسرة قد مهد لاستيعاب المضمون القبلى للشلوخ وتطويره لمفهوم ديني .

اما المثال الخامس والاخير ولعله أكثر حداثة فيقترن بأسرة الشيخ مصطفى الفادني . والفادنية قبيلة عربية صغيرة ترجع بنسبها إلى محمد بن الحنيفة بن الإمام علي بن أبي طالب . وقد اختلط الفادنية بالجعليين إختلاطاً وثيقاً فصاهروهم وشاركوهم السكن ومن ثم تمثل بعضهم شلوخ الجعليين التقليدية ، بينما ظلت جماعة منهم تحترف حياة البداوة وتسكن في البطانة بالقرب من تميد حاج الظاهر ، وأم حطب وام شديدة وفي منطقة خور الهواد ، وتقل الشلوخ بين هؤلاء وللفادنية وسم خاص بهم يسمى بالعرج ويختلف في تفاصيله بين أسرة واخرى ولكن الصورة الغالبة عليه هي عبارة عن رقمي ٨ و ٧ مقرونين أو حرف N (انظر الشكل رقم ٣٣) . ويذكر

(١) J.W.Crowfoot, "Customs of the Rubatab", *SNR*, I, (1918), 131–2.

مولانا الشيخ عبدالله يوسف القاضي ان وسم فادنية الشرق هو ٢ وفادنية الغـــرب N بينما يضيف البعض فصدة (على هيئة خط مستقيم) أو فصدتين فوق العرج أو تحته لتمييز إبلهم عن غيرها . ولكن هـــذا العرج لم يستعمل كشارة للتمييز القبلي أو الديني قبل هجرة الشيخ مصطفى الفـــادني للمنطقة الواقعة شرق الخرطوم .



الشكل ٣٣

وفي نحو سنة ١٨٧٠م ولد الشيخ مصطفى عبد الله أحمد حسين الفادني بالمحمية وترعرع بين قريتي سقادى الشرق والفادنية في الغرب . وبعد أن حفظ القرآن الكريم اشتغل بتدريس القرآن الكريم كعادة اهله . وتذكر رواية انه قد انخرط في سلك الطريقة القادرية في موطنه الجديد ؛ بينما تؤكد رواية أخرى أنه كان قد اهتدى بهدى الطريقة القادرية قبل هجرته إلى الجنوب . فأبان مايعرف « بالكسرة » عند الجعليين ، وهي الهجرة التي تبعت الاشتباك الذي حدث بين الامير محمود ود أحمد قائد جيش المهدية المتجه لملاقاة الجيش الانجليزي المصري ، والأمير عبدالله ود سعد زعيم الجعليين في المتمة في يونيو سنة ١٨٩٧ ، يروى أن الشيخ مصطفى الفادني قد هاجر إلى المنطقة الواقعة شرق الخرطوم بحري ؛ وربما هاجر في صحبة جيش الامير عثمان دقنة المتجه لأم درمان في ذلك الوقت .

وفي المنطقة الواقعة شمال شرق الخرطوم بحري استقر الشيخ مصطفى بين بعض أهله من الفادنية الذين كانوا قد وفدوا إلى تلك المنطقة منذ أمد بعيد . وهناك وجد الشيخ مصطفى ترحيبا من الشيخ الأمين ود بله أحد خلفاء الطريقة القادرية . فلما استقر به المقام زار الشيخ أحمد ود بدر خليفة الشيخ

العبيد ود بدر في أم ضبان . وأخذ عليه الطريقة القادرية « والبسه الطاقية » : وهي عملية تدل على المكانة الرفيعة التي يتمتع بها الشيخ مصطفى الفادني في سلك الطريقة القادرية . وتعني ضمناً حق إعطاء الطريقة للأتباع والمريدين .

وبالقرب من عـــد لبعض المغاربة اســـتقر الشيخ مصطفى الفادني وأسس الحلاوي وأخذ يدرس القرآن ويرشد المريدين والأتباع فتوافد عليه الطلاب من كل حدب وصوب كما تدفق عليه المريدون من أتباع الطريقة القادرية لما اشتهر به من تقوى وورع . وظل في موضعه الذي عرف باسم الشيخ مصطفى الفادني حتى وفاته في سنة ١٩٤٣ .

وهناك أخذ أتباعه، وكان كثير منهم من أبناء عمومته، يضعون العرج وهو وسم الفادنية على وجوههم تيمنا بالشيخ مصطفى الفادني وتبركا به على عادة جيرانهم الباديراب . وصار العرج شارة دينية تميز أبناء الطريقة القادرية من أتباع الشيخ مصطفى الفادني واهله على حد سواء . وفي هذا الأطار الديني اكتسب العرج وظيفة جديدة . وقد أكد لي الشيخ موسى سعيد وهو من ذوي القربى للشيخ الفادني ، أنه سمع بأن الشيخ قد شلخه بنفسه ، فوضع « العرج » على خده الايمن وباب U على خده الأيسر .

واختتم حديثي عن المضمون الديني للشلوخ بملاحظتين هامتين : أولاهما أن هذه الشلوخ تقتصر على الرجال دون النساء . ومع أن النساء يكثرن من التردد على أتباع الطرق الصوفية وخلفائهم . كما يكثرن من زيارة الأضرحة بقصد البركة فلم أشاهد امرأة واحدة تحمل شلخ ذا مضمون عقائدي . ولعل تفسير ذلك أن النساء كن اكثر افتتانا بالشلوخ ذات الصبغة الجمالية . واكتفين بوضع شارات شيخ العقيدة على خدود ابنائهن .

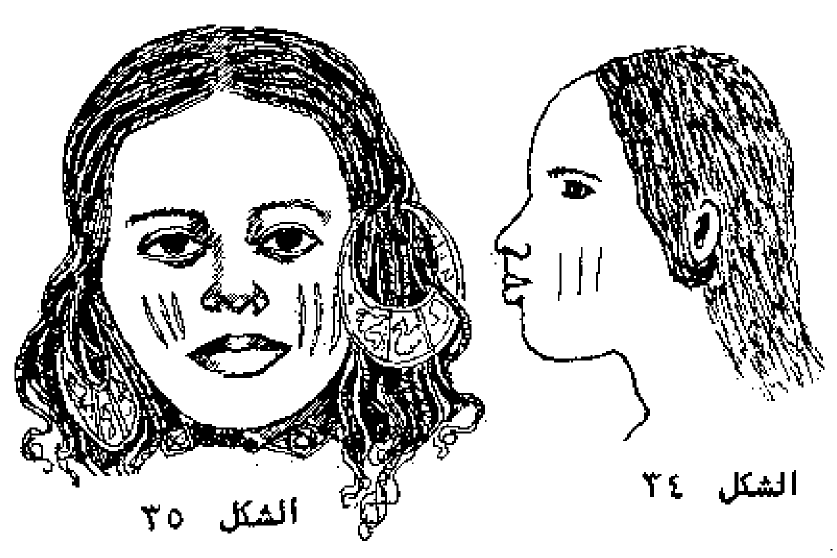
والملاحظة الثانية تبين أن الشلوخ بعد أن ازدهرت في المنطقة الوسطى من حوض وادي النيل الاوسط . وهي منطقة ذات عمق تاريخي . واكتسبت مضمونا قبليا انتقلت إلى الاقاليم الواقع جنوب ديار الجعليين أو على أطرافه حيث اقتبست مضمونا دينيا يواكب روح الأخوة والود التي

أشاعتها الطرق الصوفية بين مريدها ،وأن المشايخ الذين ارتبطت أسماؤهم بهذا المفهوم الجديد كانوا جلهم من أتباع الشيخ عبد القادر الجيلاني وأنهم قد نشأوا باستثناء الشيخ ادريس ود الارباب في ديار الجعليين . وإذا مااستثنينا ديار بعض أتباع الطريقة السمانية وكذلك موطن أتباع الشيخ إدريس ود الأرباب نجد أن المناطق الجديدة كانت تغلب عليها حياة البداوة. ولكن الشلوخ ذات الطابع الطائفي . رغم محاولتها لمحو روح القبليةمن أتباع الطريقة . لاتخلو من أنها ربما تعكس في بعض مظاهرها شيئا من بوادر المنافسة الخفية بين مشائخ الطرق الصوفية انفسهم :

المضون الجمـــالى للشلوخ

ارتبطت عادة الشلوخ فى مبدأ الأمر كما أسلفنا ، بأنها شارة قبلية تميز قبيلة عن أخرى خاصة بين الرجال . ويبدو لى أنه لما قلت الحاجة للتمييز بين بين القبائل لاستتباب الأمن عامة ونتيجة التداخل بين تلك الجماعات القبلية اكتسبت الشلوخ مفاهيم جديدة منها الجمالى والديني. ومع أن النساء كن فى مبدأ الامر ، فيما يرجح ، يلتزمن بتلك الشارات القبلية كالرجال تماما الا أن قلة تعرضهن للأخطار (وهن فى الحضر) ، وعدم خروجهن خارج حمى القبيلة جعل الاحتفاظ بالشلوخ ذات المفهوم القبلى أقل ضرورة لهن .

ولكن تشريط خدود النساء بتلك الشارات القبلية ، مع ماتحدثه من تشويه لخلقه الخالق ، جل صنعه ، قد خلقت نوعا من الاعتقاد بين عامة الناس بأنها تضفى حسناً وجمالا على المرأة ، بل تكسب وجهها سحرا. ولاشك أن الشلاخات (جمع شلاخة) قد أبقين على الشارات القبلية فى صورتها التقليدية البسيطة التى تشبه شلوخ نساء البادية فى وقتنا هذا دون



الشكل ٣٤

الشكل ٣٥

زخرف أو صنعة اتقلر (الشكلـــين ٣٤ و ٣٥) . ولكن بمرور الزمن اتسمت تلك القصدات عند نساء الحضر بالطول والعمق والتنوع ، وصارت عملية التشليخ مهنة فنية دقيقة تقوم بها شلاخات متخصصات يتوسمن فى صنعتهن مايرضي الذوق وما يناسب وجه المرأة . (١) ويلاحظ ان عامة شيوخ السودانيين كانوا يفضلون الشلوخ الطويلة العريضة العميقة الموسومة على وجه عريض (أو مستدير) ومكتنز باللحم اذ انها تبدو منتفخة ومن ثم اكثر جاذبية منها على المرأة النحيفة .

ويبدو لى أن السودانيين قد تأثروا بهذا المفهوم الجمالى من عملية الوشم التى تزين وجوه كثير من النساء في أجزاء كبيرة من الشرق الاوسط ، ولكن سواد بشرة السودانيات قد لايساعد كثيرا فى إظهار الوشم ولذا تقل قيمته الزخرفية ، ولهذا اكتفين بأجراء عملية الوشم على الشفتين واللثة كما هو الحال عند كثير من السودانيات حتى وقت قريب . ومن ثم وجدن في الشلوخ زينة تعوضهن عن الوشم . وأخذ بعض الشعراء يتغنون « بالفتاة المشلخة » فروجوا لهذا المفهوم الجمالى المستحدث حتى صارت المرأة أكثر افتتانا وتمسكا به . وتأصلت تلك العادة أو «الموضة» بين كثير من السودانيات فى الحضر والبادية وانتقلت الى المصريات والشاميات اللائى استوطن فى هذه الديار مؤخرا ، كما أخذ بها بعض المولدين . (٢)

---

(١) عادة ما يرسم الشلاخ أو الشلاخة الشلوخ التي ترغب في وضعها بخطوط من « قلم » قبل ان يجرى الموسى عليها ثم ينزع الجلد المجروح . ويستعمل البعض قالبا من الجلد يحددون به المواضع التى يرغبون فى اجراء الموسى عليها . وبعد الفراغ من العملية الجراحية ينزع الجلد الخارجي من الخد ويصب بعض الزيت عليه حتى يلتئم .

(٢) ابن السودان (الشيخ عبد الرحمن احمد) فى العادات ٣ : الشلوخ : مجلة النهضة السودانية، العدد ١٦ ج ١٩٣ ، ص ١٤ . ويبدو ان بعض الاماء اخذن بهذه العادة لتكسبهن جمالا . وقد جاء في وثيقة بيع أمة ، صدرت فى عهد السلطان على دينار فى يوم ٢١ رمضان ١٣٣٢ هـ/ ١٣ اغسطس ١٩١٤ ، انها خادم سلامته جبلاوية مشلخة الخدين بلدى — ولعل كلمة بلدى تشير الى الثلاثة شلوخ السودية .
واشكر الدكتور ركس اوفاهى الذى دلنى على هذه الوثيقة .

وقد روى الرحالة صموبل بيكر - بعد زيارته لعرب الحمران فى منطقة القضارف في سنة ١٨٦١ ، ان النساء العربيات يتمتعن بقدر كبير من الجمال،ولكن مما يؤسف له أن جمالهن هذا قد شوهته الثلاث فصدات التى توضع على كل خد . وقال إن هذه الشلوخ تعتبر زخرفا وزينة رغم ماتحدثه من تشويه . (١) وقد أورد الرحالة الفرنسى كايو الذى زار السودان فى معية الجيش التركي المصرى فى سنة ١٨٢١ ، صورتين لفتاتين مشلختين من شندى وسنار ، ويزين وجه الفتاة الاولى أربعة شلوخ مطارق على كل خد ، بينما يزين خد الفتاة الثانية ثلاثة شلوخ عمودية فى كل خد . (انظر الشكلين رقم ٣٦و٣٧) (٢) .



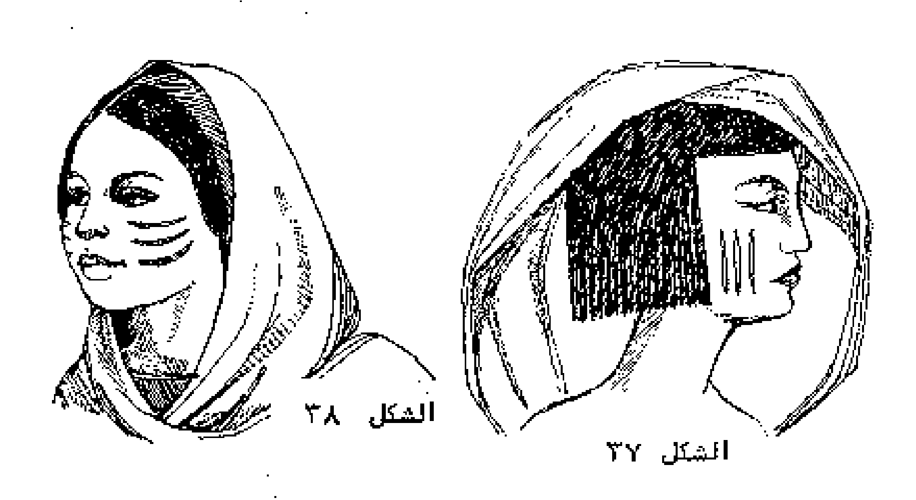
الشكل ٣٦

ولاتختلف شلوخ النساء عن الشلوخ التقليدية عند الرجال كثيرا ، إذ أن كثيراً من النساء قد أبقين عليها مع تعـــديل فى طولها وعرضها مما يساعد على انتفاخ موضع الجرح حتى تبرز الناحية الجمالية للشلخ. فتجد نساءالشايقية والمناصير يحافظن الثلاثة (وأحيانا أربعة) خطوط الافقية (انظر الشكلين٣٨ و ٣٩)، ولكنهن ككثيرات من نساء حوض وادى النيل الاوسط أخذن يفضلن الثلاثة شلوخ المطــارق السائدة عند الجعليات. كما أن بعض الجعليات أخذن يفضلن « العارض » وهو الشلخ السائد بين نساء العبدلاب. و« العارض »عبارة عن الثلاثة شلوخ الرأسية ولكنه يستند

(١) Samuel N. Bakei, *The Nile Tributaries of Abyssnia and the Sword Hunters of the Hamran*; London, 273.

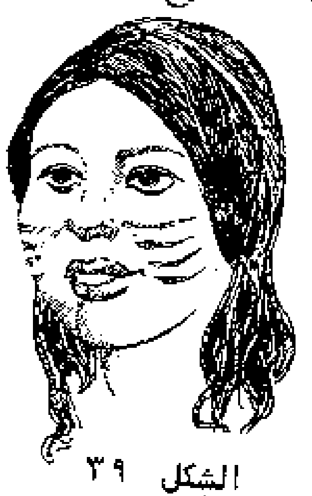
(٢) F. Cailliaud, *Voyag> a' Meroé et au fleuve blanc dans les annes* 1819, 1820, 1821, *et* 1822, Paris, 1826,Volume, II, P. 240 - 41,336 - 37.

على شلخ أفقي (انظر الشكل رقم ٤٠) . وهناك شلخ بعارضين كما في الشكل ٤١ .


الشكل ٣٨

الشكل ٣٧

وقد أدخلت إضافات أخرى على الثلاثة شلوخ كاضافة فصدة قصيرة تربط بين مطـــرقين من الثلاثة مطارق ، ويسمى هذا الشلخ (بوجع القليب). ومن الشلوخ المستحدثة ايضا التقـــرابي وهو عبارة عن حرف T (وتكون مقلوبة احيانا) تتوسط خطين عموديين ITI . وهناك (درب الطير) وهو عبارة عن ضلعي مثلث يتوسطهما من أسفل خط


الشكل ٣٩

ياعابد اللالوبه يا واقف حته (١)
ارحم حالة روحي مفارقة الجته (٢)

ويقول ثاني :

ماذيني الزول الشلوخه ثمانية
بيني وبينه دول الانجليز والمانية
ياعابد اللالوبة زاهد الفانية
أرحم حالة روحي مدندنة فانية

ويقول الشاعر عمر البنا في وصف محبوبته التي يزين خدها الشلوخ المعروف (بالنقرابي) :

الظبي الساكن قلبي دايما طارقو
بلمع سيف لحاظو يفتك سانو وطارقو
النقرابي يضوي فوق خدودو مطارقو

ويقول الشاعر التيجاني يوسف بشير في قصيدته المصير :

يرف عليه شباب الفنون وتبرق في وجنتيه الفصد

وينسب الى الشاعر الحردلو أغنية : « درب الطير » التي يقول فيها :

قوم بينا .. حلو درب الطير .. في سكينة
شيء جميل يا ناس ..

ويقول عمر البنا في آخر قصيدة « أمتي أرجع لأمدر واعودا »

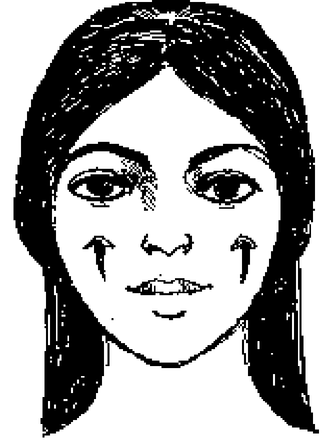
هناي ومنية روحي ومقصودا اشوف « رشيم » بين فضودا

---

(١) اللالوبة : سبحة اللالوب .

(٢) أي ثمانية شلوخ مطارق ، كل أربعة على خد « أو شلخها عارض » .

عمودى ↑ . وغالبا مايوضع هذا الشلخ منفردا (دون ان يحيط بهخطان) كما هو الحال عند بلو كردفان (انظر الشكل رقم ٤٢) وهنالك شلخ صغير ثالث يعرف بالرشيم اشبه بالحرف ғ ولكن قاعدته مائلة ғ وحقيقة الامر ان أسماء الأضافات هذه تختلف من منطقة لاخرى وإن كانت ترمز إلى شيء واحد .



وقد تغنى بعض الشعراء السودانيين بسحر الشلوخ مثل ماتغزل فيها بعض شعراء العرب الذين أوردنا نماذج لشعرهم فيما سبق.

الشكل ٤٢

فيقول الطيب ود ضحوية وهو من شعراء البادية :

قولى لى بت عبيد قلبا شجيع اتحله (١)
ومن عيدا معاك بقت الكراع متشله (٢)
دى الشلاخه أجمل من دكاكرْ السله
باركيه اتباركوا عليك فى شان الله (٣)

و يصف اثنان من شعراء الدوبيت محبوبتهما فى مباراة من الدوبيت يقول الاول :

ماذينى الزول آبْ شلوخا ستة (٤)
بينى وبينه فرقاتن شطة (٥)

---

(١) اتحله : ذاب وتألم .
(٢) متشله : معطلة .
(٣) دكاكر : مفردها دكرى وهو نوع من السيوف . السله : أى المسلولة . ولعل الشاعر لا يقصد تشبيه الشلخ بالسيف ككل انما اراد تشبيهها بمجرى السيف وهو الخط المستقيم الذى يرسم وسط السيف الدكرى الذى هو هو اشبه بالشلخ « المطارق » .
(٤) أى ستة شلوخ مطارق .
(٥) فرقاتن : مسافات . شطه : سرعة .

ويغنى التاج مصطفى فى قصيدة « الذوق والجمال » للشاعر عبد الرحمن الريح أيضا :

الــــذوق والجمال والحـــدود « الســاده »
أدوْ قلبـــى النـــار حرّقـــوه زيـــــــادة

ويغنى التاج مصطفى أيضاً فى أغنية « لونه الخمرى » :

الســـادة لـــونه خمـــرى قلبـــى حبـــاه .

ويقول الشاعر عبد الرحمن الريّح في أغنية « الشادن » :

فـــاق الســـلاح وكسر حـــديـــده
نقـــرابي في صفحـــة خـــديـــده

وهنـــاك من الشـــعراء من لا يحب الشـــلوخ في النســـاء، ويميل إلى من لا شلوخ لهن ، « أي ساده » .

وفي هذا المعنى يقول الشاعر إبراهيم العبادى :[1]

دون « قصـــاده » ســـواك الهـــــــك
والابـــــار مـــا لمـــــن شفـــاهـــــك

ويقول محمد الفكي حمد الشكرى ، وهو من شعراء البادية :

سخلـــة ود فهيـــد ام روبـــة مـــدروعة[2]
بعـــامية « ســـاده » مهـــدلـــه وملروعة[3]
نفســـك برتكـــان قامتـــك مـــربوعـــة
عاشقك حاكي سجاعة بل المجـــزوعـــة[4]

وتظهر عملية رفض الشلوخ في كثير من الأغاني الحديثة التي اشتهرت في الخمسينات .

فيقول المطرب حسن عطية في أغنية « انت حياتي » للشاعر عبد الرحمن الريّح » :

ما شـــوهوك بقصـــادة
للخـــــدود الســـادة

(١) محمد عبد الرحيم ، نفثات اليراع في الادب والتاريخ والاجتماع ، ص ٦٠ .
(٢) السلخة : صغيرة الظباء ، ود فهيد : موقع اشتهر بجمال ظباته ، الروبة : الشعر الكثيف
(٣) الروبة المدروعة : ذات الشعر الكث في شكل ضفائر .
(٤) بعامية : الظبية التي ليس لها قرون .
(٥) السجاعة : القمرية ، بل : موقع على نهر اتبره شمال قوز رجب ، المجزوعة : الحزينة التي مات صغيرها .

النقرابي فوق شلخه الأول وهو العرج وهو شاب دون العشرين من عمره عند موت أخته خوفاً من أن يموت حزناً عليها. فصارت هيئة الشلخين كالآتي ¦\ .

ويروي المؤرخ محمد عبد الرحيم أن القصد من الشلوخ هو تحصين الطفل من العين ، ولكني لم أجد من يؤكد هذا الرأي بين من سألتهم من السودانيين .

ويضيف المؤرخ محمد عبد الرحيم أن العرب كانت تخاف العين فاتخذت الشلوخ للوقاية منها فبدلا من أن تكتب كلمة « كافي » أحد اسماء الله الحسنى اكتفت بوضعها بحساب الجمل أي (١١١). وقد تعرضنا لهذه النقطة من قبل ورأينا أنها لا تستقيم مع حساب الجمل(١). ومن الطريف ان أحد الرحالة الأوربيين الذين زاروا البدو النازلين بالمنطقة الواقعة شرق البحر الميت في أول هذا القرن يروي قصة تعكس ما يعتقده بعض العرب عن السحر ، قال :

« في أحد الأيام سألت أحد صبيان العرب عن التشاريط التي شوهته فرد بأنه عندما كان صغيراً كان بالغ الوسامة لأن الله قد حباه بالجمال وكان الجيران يعجبون بذلك الجمال ويثنون كثيراً عليه لأم الفتى ولما كانت تخشى حسد الحاسدين وحتى لا تصيب العين ابنها قامت الأم بعمل هذه الفصدات على خديه بالموسى » .(٢)

ومع ما في هذه القصة من دلالة ؛ لكني لم أجد ما يؤكد مثل هذا التقليد في السودان .

---

(١) محمد عبد الرحيم ، مخطوط يحوي مقالات مختلفة عن القبائل والعادات والتعليم الصندوق ٣.٤ قطعة ١ ، دار الوثائق المركزية ، الخرطوم .

(٢) A. Jaussen, *Coutumes des Arabs au Pays de Moab, Paris* 1908, 370.

الشلوخ والاسبـــار

يفسر الدكتور عون الشريف قاسم السِّبِر (وجمعه أسبار) بأنه نوع من السحر يعرقل على الإنسان حياته(١) . وتتخذ الشلوخ للتخلص من السبر أو العارض ذي المفعول المماثل . فالطفل الذي يُولَد بعد عدد من الأطفال الذين ماتوا في مهدهم أو في سن معينة فان والديه قد يغيّرون شلخه القبلي التقليدي بوضع شلوخ قبيلة أخرى . فمثلا قد يضعون شلوخ الشايقية الأفقية بدلاً عن شلوخ الجعليين العمودية . ويعتقد الناس إنّهم بفعلهم هذا يغيّرون ملامح الطفل ويموهونه على ملك الموت ، لانّه لا يجد الشلوخ التقليدية لأبيه على خدّيه وبذلك يؤملون أن يكتب الله لطفلهم البقاء . وإذا وُلِد طفل بعد موت والده فانّهم قد يشلخونه شلخا غير الشلخ المألوف عند أهله أو (شلخ والده) حتى لا تتعرف عليه روح ابيه ويختطفه الموت . وربّما يضعون شلخاً عمودياً واحداً لنفس السبب حتّى لا تحلّق روح الميت فوق الابن(٢) . وقد أفادني شاب من منطقة الرباطاب كان يزين وجهه شلخ غريب على هيئة =ا . ان ذلك الشلخ قد وضع على خديه عند مولده حتى لا تزعجه ارواح إخوته الذين ماتوا في مهدهم . وقد رأيت شاباً يزين خده خطان عموديان اا ، اا وآخر يحمل خطين عمودين فوقها ثالث أفقي TT .

ويوضع درب الطير ↑ أو حرف T (وهو شديد الشبه بالصليب كما نوهت من قبل) مضافاً للشلوخ ذات المضمون القبلي أو الطائفي أو الزخرفي للدلالة على الحزن عند موت عزيز من الأهل . وقد روى لي شيخ في الستين من عمره أنّ أهله قد فصدوه فصدات صغيرة تشبه درب الطير أو

---

(١) عون الشريف قاسم ، قاموس اللهجة العامية في السودان ، الخرطوم ١٩٧٢ ، ص ٣٣٥

(٢) Sayid Hamid Hurriez, *Brith,, Marriage, Death and Initiation Customs and Beliefs in the Central Sudan*, M.A. Thesis, Leeds University, 1966, P. 98.

قريب ، أن الشلوخ تضفي على المرأة حسناً وجمالاً وتكسبها جاذبية وسحراً لذلك انتشرت بين كثير من السودانيات في الحضر والبادية .

هذه بإيجاز الوظائف الثلاث التي اقترنت بعادة الشلوخ التي عمت أجزاء كثيرة من البلاد خارج المنطقة الوسطى لحوض وادي النيل . ولكن من حسن الحظ . فانه لانتشار الوعي الثقافي قل التمسك بهذا التقليد ، مهما كانت وظيفته . حتى كاد أن ينقرض . ولم يعد رائجاً إلا في بعض المناطق النائية التي تغلب عليها النزعة القبلية أو التعصب الطائفي أو المقاييس الجمالية التقليدية .

خاتمــة

يتضح من هذه الدراسة أنّ القصدات أوالشلوخ التى تزين خدود كثير من السودانيين عادة قديمة عرفت في المنطقة الوسطى من حوض وادى النيل الأوسط قبل الهجرة العربيّة للسودان بمئات السنين ، كما عرفت في أجزاء متعددة من القارة الأفريقية فلما هاجر العرب إلى السودان اقتبسوا هذه الشلوخ وجعلوها سمة تميز قبيلة عن أخرى كالوسم الذى اعتاد العرب وضعه على إبلهم في الجزيرة العربية ليتعرفوا به عليها اذا ضلت أو سرقت . وإعطاء هذه القصدات سمة تميز قبيـــلة عن آخرى هو تجسيد لمفهوم ثقافى جديد اقتضاه التلاحم العربىّ النوبىّ . ومن ثم أصبحت الشلوخ سمة تميز أفراد المجتمع الســـودانى الجديد المتمثّل للثقافة العربية أولا وأداة تميز بين القبائل العربيّة أو المجموعات المستعربة التى تكوّن سكان المنطقة الوسطى عن حوض وادى النيل الأوسط . ومن هذه المنطقة انتقلت الشلوخ إلى بعض أقاليم السودان الأخرى على سبيل التقليد أو نتيجة الاختلاط .

ولما حلّ الإسلام محلّ المعتقدات المسيحية والوثنية التى كانت تسود في سودان وادى النيل الأوسط وكتبت الغلبة لتعاليم الطرق الصوفية اكتسب مشايخ الطرق الصوفية إحتراماً وتأييداً من اتباعهم ممّا مكّنهم من بسط نفوذهم الطائفىّ خارج أطر المجتمعات القبلية التى ينتمون اليها . فأصبح نفوذ الشــيخ الصوفىّ وتعاليمه تمتد خارج التقسيمات التقليدية . وقد أدّى هذا التطور إلى ظهور تجمعات طائفية ترتكز على الولاء لشيخ الطريقة ، وهو ولاء أكبر وأشمل من الولاء لزعيم القبيلة . واتخذ بعض المشايخ وأتباعهم الشلوخ أداةً أو رمزاً لهذا المضمون الدينىّ الذى يرتبط بين أفراد الطريقة الواحدة ويوحد بينها .

واكتسبت الشلوخ مضموناً ثالثاً وهو اعتقاد عامة السودانيين ،حتى عهد

عبد الله احمد يوسف : كتاب النخيل نسخة خطيـــة بحوزة السيد عبد الرحمن عبد الله وزير الخدمة العامة والاصلاح الإدارى الخرطوم .

عبد الله البستاني : البستان ، بيروت ، ١٩٢٧ ، ج ١ .

عون الشريف قاسم : قاموس اللهجة العامية في السودان ، الخرطوم ، ١٩٧٢.

الكتـــاب المقـــدس : أي كتب العهد القديم والعهد الجديد ــ نشر جمعيات الكتاب المقدس المتحدة ، ١٩٦٥ .

محمد أدروب أوهاج : من تراث البجا الشعبي ، شعبة أبحاث السودان ، جامعة الخرطوم ، ١٩٧١ .

محمد صالح عبد الرحمن : الشلوخ في السودان عامة ، وخاصة عند الجعليين والشايقية والعبدلاب ، بحث خطي ، كلية الفنون ، ٧٣ / ١٩٧٤ ، الخرطوم .

محمد عبد الـرحيم : مخطوط يحوى مقالات متنوعة عن القبائل والعادات والتعليم ، صندوق ٣٤ ، خططه الى دار الوثائق المركزية ، الخرطـــوم .

محمـــد عبد الرحيم : نفثات اليراع في الأدب والتاريخ والاجتماع ، الجزء الاول ، الخرطوم (د ت) .

نعـــوم شقـــير : جغرافية وتاريخ السودان ، بيروت ، ١٩٦٧ .

يوسف فضل حسن : دراسات في تاريخ السـودان ، الجزء الأول ، الخرطـــوم . ١٩٧٥ .

ثبت المراجع والمصادر

الكتب العربية

إبن تغرى بردى الاتابكى : جمال الدين أبو المحاسن « النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة (د.ت) .

إبن السودان (عبد الرحمن أحمد) : فى العادات الشلوخ - مجلة النهضة السودانية العدد ١٦ (١٩٣٦) .

إبن ضيف الله . محمد النور : كتاب الطبقات فى خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء فى السودان - تحقيق يوسف فضل حسن ، الخرطوم ، ١٩٧١ .

إبن قتيبة : الشعر والشعراء ج١ / ٣٦٩

أبو الفرج الإصفهانى : كتاب الأغانى ، طبعة بولاق (د ت) ج ٧ .

أحمد الحفنى القنائى الأزهرى : ساطع الأنوار فى خلاصة ما جاء فى هجرتى الصحابة إلى أرض الحبشة وما يتعلق بأهلها من الآيات والأحاديث والآثار بولاق ، ١٣١٢ .

أحمد رضا : معجم متن اللغة ، بيروت ، ١٩٥٩ .

آدم الزين : التراث الشعبى لقبيلة المسبعات ، شعبة أبحاث السودان ، جامعة الخرطوم ، ١٩٧٠ .

البخارى ، محمد بن إسماعيل : صحيح البخارى ، القاهرة (د ت) ج٧ .

الزبيدى ، محب الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الحسينى الواسطى : شرح القاموس وتاج العروس من جواهر القاموس ، الطبعة الأولى ، الجمالية ، مصر ، ١٣٠٦ هـ ، ج ٢ .

الصديق حضرة : نسبة الفكى الصديق حضرة ، مخطوط ضمن مجموعة ماكمايكل بدار الوثائق المركزية - الخرطوم .

مصــادر بلغــات اوروبيــة

Ali Bey, *Travels of Ali Bey in Morocco, Tripoli, Cyprus, Egypt, Arabia, Syria, and Turkey between the Years* 1803 *and* 1807, London, 1816.

Samuel N. Baker, *The Nile Tributaries of Abyssinia and Sword Hunters of the Hamran*, London, 1868.

R.F. Burton, *Narrative of Pilgrimage to Meccah and Medinah*, London, 1879.

F. Cailliaud, *Voyage a Meroe et au fleuve blanc dans les annes* 1819, 1820, 21, et 1822, Paris, 1826, 4 Vols.

Andrew Chrichton, *History of Arabia and its People*, London, 1885.

J.W. Crowfoot, "Customs of the Rubatab", *Sudan Notes and Records S.N.R.* I 1918 PP. 119–134.

De Villard, Teste Meroitici della Nubia Settentrionales" *KUSH*, VIII, (1960) PP. 88–124.

W. Emery and L.P.Kirwan, *Excavations and Survey between Wadi es-Sabua and Adindan 1929–31*, (Service des Antiquités de l'Egypte, Mission Archéologyique de Nubie (1929–34) Cairo, 1935, Vol. I.

Encyclopedia Biblica, Jerusalem, 1962.

J.C. Foelich, Catalogue des Scatrifications en usage chez certane populations du Dahomey et Nord TOGO", *Melanges Ethnologiques*, No 23, (1953), I FAN, DAKAR, pp. 253–265.

C.Snouck Hurgronje, *Mekka in the Latter Part of the 19th Century*, London, 1931.

A. Jaussen, *Coutumes des Arabes au Pays des Moab*, Paris, 1908.

S. Johnson, *The History of the Yorubas*, Lagos, 1937.

L. Keimer, "une Petite tête romaine en terre reprentant une Soudansise a cicatrices faciales" *Bulletin Socíetie Archeologie d'Alexauderie*, No. 40 (1959).

H.Karl W. Kumm, From Hausaland to Egypt through the Sudan, London 1910.

Vincent Le Blanc, *The World Surveyed*, London, 1960.

C.R., Lepsius, *Denkalr, Aus Aegypten Und Aethiopien*, 12 Vols, 1849–59, Berlin.

Secton Lloyed and Fuad Safar, "Tell Hassuna, Excavations by the Iraq Government Directorate General of Antiquities in 1943 and 1944" *Journal of Near Eastern Studies*, (1945) P. 281.

H. A. MacMichael, *Camel Brands Used in Kordofan*, Cambridge, 1913

A History of the Arabs in the Sudan, London, 1922.

Otto Meinardus, "Tatto and Name: A Study on the Marks of Identification of the Egyptian Christians" *Wiener Zeitisehrift für die Kunde De Morgenlandes*, Band, 63–64, 1972, 28–29.

Joan Oates, "Choga Mant, 1967–68. A Preliminary Report, *IRAQ*, 3,pp.

J. Morgenstern, *Rites of Birth, Marriage, Death and Kindred Occasions among the Semites*, Chicago, 1966.

R. Randall, McIver and Leonard Woolley, *Areika*, Vol I, Oxford, 1909.

C. Renfrew, *The Emergence Civilization: The Cyclades and Aegean in The Third Millennium B.C.*, London, 1972.

J. Vantini, *the Excavations at Faras: A contribution to the History of Christian Nubia*, Bologna, 1970.

Arnold Von Hariff, *The Pilgrimage of Arnold Von Hariff which was Accomplished in the Years 1496 to 1499*, London, 1946.

H. Von Maltzan, *Miene Wallfart nach Mekka*, Lepzig, 1865.

Sadik Nur, "Two Meroetic Pottery Coffins from Argin in Halfa District, *KUSH*, IV, (1956) 86–87.

Sayid Hamid Hurriez, *Birth, Marriage, Death and Intiation Customs and Beliefs in the Central Sudan*, M.A. thesis, Leeds University, June 1966.

C. G. Seligman, *Pagan Tribes of the Nillotic Sudan*, London, 1832.

P. L. Shinnie, *The Iron Age*, London, 1971.

P.L. Shinnie, *Meroe, A Civilization of the Sudan*, London, 1967.

R. Smith, *Kinship and Marriage in Arabia*, London, 1907.

J. R. Wellsted, *Travels in Arabia*, London, 1839, VOL.1.

G. Leonard Wooley and D.R. McIver, *KARNOG, The Roman Nubian Cemetry*, Philadelphia, 1910, Vol. III.

Yusuf Fadl Hasan, *The Arabs and the Sudan*, Khartoum, 1973.

محتويات الكتاب

رقم الايداع بدار الكتب
٨٩٩٢ / ١٩٨٩